جامعة قاصـــدي مربـــاح ـ ورقـلة ـ
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الفلسفة

شعبة الفلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

من إعداد الطالبتين:

- بن شاعة العطرة.
- سالكة جمعة.

مذكـــرة بعنـــوان:

موقف جون لوك من الأفكار الفطرية عند العقليين

- ديكارت نموذجا -

نوقش حضوريا في: 2015/05/26

أمام اللّجنة:

طاهير رياض (أستاذ أ).....رئيسا..... جامعة ورقلة

بن قويدر عاشور (أستاذ أ).....مشرفا.....جامعة ورقلة

بن غزالة محمد الصديق (أستاذ ب).....مناقشا.....جامعة ورقلة

السنة الجامعية : 2015/2014

شكر وتقدير

الحمد لله فالق الأنوار وجاعل الليل والنهار، ثم الصلاة والسلام على سيدنا المختار، لقد تم بحمد الله وفضله إنجاز هذا البحث.

اعترافا بالفضل وتقديرا للجميل نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف " بن قويدر عاشور" على قدرة تحمله وصبره خلال فترة إنجازنا لهذا البحث، وعلى كل ما قدمه لنا من نصائح.

كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد كما نشكر أيضا أساتذة العلوم الإنسانية، وخاصة أساتذة شعبة الفلسفة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

العطرة وجمعة

الفهـــــــــرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	مقدمة	أ – ج
الفصل الأول: الأفكار الفطرية عند العقليين.		
01	مفهوم الأفكار الفطرية.	08 – 11.
02	خصائص الأفكار الفطرية.	12 – 15.
03	مفهوم المعرفة عند العقليين.	16 – 19.
04	علاقة الأفكار الفطرية بالمعرفة لدى العقليين.	20 – 23.
الفصل الثاني: ديكارت والأفكار الفطرية.		
01	حياة ديكارت.	25 – 26.
02	مصادر فكر ديكارت.	27 – 29.
03	أهم مؤلفات ديكارت.	30 – 31.
04	مفهوم المعرفة عند ديكارت.	32 – 36.
05	مفهوم الأفكار الفطرية عند ديكارت.	37 – 39.
06	موقف ديكارت من الأفكار الفطرية.	40 – 42.
الفصل الثالث: موقف جون لوك من العقليين عموما وديكارت خصوصا.		
01	حياة جون لوك.	44 – 45.
02	أهم مؤلفات جون لوك.	46.

03	المعرفة عند جون لوك.	47 – 50.
04	نقد جون لوك للأفكار الفطرية الديكارتية.	51 – 55.
01	النتائج.	56.
02	الخاتمة	58.
03	قائمة المصادر والمراجع.	60 – 62.

مقدمة

مقدمة:

كان اهتمام الفلاسفة الطبيعيون الأوائل بالبحث عن أصل الوجود (الكون) أمثال: طاليس، هيرقليطس، أنكسمانس، أنكسمندر،....وغيرهم، حيث أرجعوا أصل الكون إلى الطبيعة، أي إلى النار، التراب، الماء، الهواء أما فلاسفة العصر اليوناني فكان اهتمامهم بالبحث عن الأدلة والبراهين لإثبات وجود الله، وخلود النفس، وصفات الله. وهذا ما ذهب إليه فلاسفة العصر الوسيط أمثال أوغسطين وتوما الإكويني وأنسلم، فكانت المعرفة في عصرهم تسودها الميتافيزيقا.

أما فلاسفة العصر الحديث فقد أعطوا اهتماما كبيرا للإنسان في الوصول إلى المعرفة، وهذا ما ذهب إليه فلاسفة المذهب العقلي الذين أرجعوا المعرفة إلى العقل، وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي ديكارت أب الفلسفة الحديثة، الذي أرجع أساس المعرفة إلى العقل الإنساني الذي يحوي أفكار قبلية ومسبقة وهي الأفكار الفطرية التي من خلالها نصل إلى المعرفة الصحيحة، وأن كل معرفة خارجة عن العقل هي معرفة غير يقينية وغامضة وهي محل شك.

هذا وقد ذهب فلاسفة المذهب التجريبي إلى إنكار الأفكار الفطرية، كما اعتبروا أن التجربة والحواس هما المصدر الوحيد والأساسي للمعرفة، ومن أهم فلاسفة المذهب التجريبي نجد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك الذي نقد ديكارت في مصدر المعرفة وخاصة في الأفكار الفطرية؛ ومنه يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما هو موقف جون لوك من الأفكار الفطرية عند العقليين عموما وديكارت خصوصا؟.

- ماهي نظرة أصحاب المذهب العقلي للأفكار الفطرية؟
- إلى أي مدى اهتم ديكارت بالأفكار الفطرية؟
- كيف تعرض جون لوك لنقد الأفكار الفطرية؟

ولدراسة وحل هذه الإشكالية اعتمدنا على: المنهج التحليلي لأننا قمنا بتحليل الأفكار، والمنهج النقدي وهذا يرجع إلى طبيعة موضوع الدراسة، والذي يتمثل في نقد جون لوك لديكارت، والمنهج المقارن من خلال مقارنتنا لأساس المعرفة عند كل من ديكارت وجون لوك.

تكمن أهمية هذه الدراسة التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع فيما يلي:

- يعتبر هذا الموضوع جديد ولم يعالج من قبل.
- المعرفة مشكلة أساسية نالت اهتمام كبير من طرف فلاسفة العصر الحديث.
- الرغبة في الاستفادة من رؤية فلسفية علمية وإفادة الغير إن أمكن.
- إثراء المكتبة واعتباره كمرجع للقارئ (الطالب الباحث).

إن الهدف من دراسة هذا الموضوع تكمن في:

- الإطلاع على الفكر الغربي في العصر الحديث.
- معرفة مدى أهمية اهتمام الفلسفة الحديثة بالفكر الإنساني.
- معرفة البراهين التي اعتمدها جون لوك في نقده لديكارت.

ومن أجل تحليل هذه الأفكار اتبعنا الخطة التالية: تطرقنا في الفصل الأول إلى الأفكار الفطرية عند العقليين، وقسمنا هذا الفصل إلى مبحثين: المبحث الأول تناولنا فيه مفهوم الأفكار الفطرية وخصائصها أما المبحث الثاني فتناولنا فيه مفهوم المعرفة وعلاقتها بالأفكار الفطرية عند العقليين، ومن ثم الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه إلى ديكارت والأفكار الفطرية، وقسمنا هذا الفصل إلى مبحثين: المبحث الأول تناولنا فيه حياة ديكارت، ومصادر فكره و أهم مؤلفاته، أما المبحث الثاني، تناولنا فيه مفهوم كل من المعرفة والأفكار الفطرية عند ديكارت، وموقفه من الأفكار الفطرية، أما الفصل الثالث والأخير تطرقنا فيه إلى موقف جون لوك من العقليين عموما وديكارت خصوصا فيما تعلّق بالأفكار الفطرية، وقسمنا هذا

الفصل إلى مبحثين: المبحث الأول، تناولنا فيه حياة جون لوك وأهم مؤلفاته أما عن المبحث الثاني تناولنا فيه المعرفة عند جون لوك ونقده للأفكار الفطرية الديكارتية.

أما أهم المشاكل أو الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا لهذا الموضوع تتمثل في ما يلي:

- قلة المصادر والمراجع في دراستنا لهذا الموضوع.
- ضيق الوقت لتحليل الأفكار.
- صعوبة التعامل مع النصوص الأصلية لأنها باللغة الأجنبية، والمترجمة للغة العربية نجدها تفتقد لبعض خصوصياتها.
- ندرة الحصول على الرسائل الجامعية التي تعالج مثل هذا الموضوع؛لأنه موضوع جديد.

الفصل الأول:
الأفكار الفطرية عند العقليين

المبحث الأول: الأفكار الفطرية و خصائصها.

المطلب الأول: مفهوم الأفكار الفطرية.

الأفكار الفطرية هي عبارة عن مجموعة الأفكار التي توجد في العقل وتولد مع الطفل، فأختلف الفلاسفة حول مفهومها، فنجد أنصار الاتجاه العقلي الذين يقرون بأنها: الأفكار التي يولد الطفل مزود بها، فهي سابقة عن التجربة وغير مكتسبة، ومن أبرز الفلاسفة العقليين الذين تطرقوا للأفكار الفطرية نجد كل من أفلاطون، مالبرانش، كانط، هيجل، ديكارت، وغيرهم من الفلاسفة، الذين ربطوا الأفكار الفطرية بالعقل وأبعدوها عن التجربة، حيث أقرّوا بأن كل الأفكار التي تأتينا عن طريق الحواس من العالم الخارجي هي عبارة عن أفكار نسبية، ولا يمكن أن تكون يقينية ولا توصلنا إلى المعرفة؛ بل الأفكار التي تعطينا معرفة يقينية و دقيقة هي الأفكار الفطرية حيث عرفها سقراط* (470ق.م – 399ق.م) بأنها أساس المعرفة وهي الأفكار الواضحة والصحيحة وأن العقل به معارف ومعلومات تكون مكنونة في نفسه وذاته وأن المعلم مجرد مثير خارجي الذي يعمل على إخراج هذه المعارف والمعلومات المكنونة في العقل كي يستعملها صاحبها بشكل صحيح والتي تتمثل في الأفكار الفطرية وهذا يتضح في قول سقراط: ***"أنا لست معلما ولا أعلم الشيء الجديد للتلاميذ، و إنما دوري في التعليم هو تهيئة أرضية صالحة لأن أستثمر فكر المتعلم و أخرج العلوم و المعارف المكنونة في ذاته و نفسه ليقف المتعلم على ما كان يعلمه بالفطرة وعلى وجه الإجمال يقف عليه بشكل مبسوط."***[1] أي: أن سقراط يقر بالأفكار الفطرية التي يصل من خلالها المتعلم إلى المعرفة وبفضلها يستطيع أن يتعلم؛ لكن دوره هو كمعلم يمكن أن يساعد المتعلم على إدراك جميع الأفكار الكامنة في عقله وإدراكها بشكل صحيح وليس دوره تقديم أفكار جديدة وغريبة عما يوجد داخل العقل لذا فهو لا يعطي للمتعلم معرفة جديدة أو مكتسبة، بل يحفز ويجعل المتعلم

*سقراط (470ق.م – 399ق.م): فيلسوف يوناني ولد في الوبكية بآتيكا وهو تلميذ الفيلسوف بروديقوس و الهندسي ثيودوروس السيراني، كان ناقدا عادم الشفقة للظنون البشرية و مواطنا ممتاز، إذ أبى احتراما منه لقوانين بلده، كما هرب من السجن بعدما صدروا عليه حكم الإعدام. هذا التعريف اعتمادا على ما جاء في: جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة(الفلاسفة . المناطقة . المتكلمون . اللاهوتيون . المتصوفون)**، ط3، (بيروت، دار الطليعة، 2006)، ص 356.

1- نقلا عن حسن محمد مكي العاملي، **المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات: نظرية المعرفة**، ط1، (بيروت، الدار الإسلامية، 1990)، ص 78.

يخرج جميع المعارف التي في عقله و الموجودة فيه مسبقا أي: فطرية فيه؛ ومنه فإن سقراط لا يمكن أن يعتبر معلما للمتعلم بل مساعدا له على الإدراك فقط أي إدراك ما في عقله.

أما أفلاطون* (427ق.م – 347ق.م): فإنه يقر بالأفكار الفطرية أيضا، حيث أنّ أي معرفة في عقل الإنسان هي معرفة قبلية، و في العقل أفكار قبلية فطرية تتميز بالدقة والصحة والوضوح والبداهة ولا تتعرض للشك والتي توجد في النفس المتصلة بالنفس الكلية الإلهية قبل اتصالها بالجسد (البدن)، فهي عارفة لكل الحقائق الإلهية الكلية، ولكن عند اتصالها بالبدن تفتقد خاصية الحقائق الكلية؛ فتصبح لديها معارف جزئية وعندما يتعرض الإنسان للمثيرات الخارجية ويكون يدرك الأشياء أو يسترجع المعارف؛ فإنه يسترجع المعارف والأفكار التي كانت تعرفها النفس في عالم المثل، فتتحصل على معرفة، أو حقيقة مطلقة، ويتضح هذا من خلال قول أفلاطون :"***ولما كنا نستخدم الحواس منذ ولادتنا، فلا بد من حصول هذا العلم لنا قبل الميلاد...ولا بد أن نكون قد نسينا هذا العلم عند ميلادنا، ثم نعود لنتذكره عند رؤيتنا للأشياء الحسية. وهذا هو الحل الممكن الوحيد، لأن التجربة تظهرنا على أن كل البشر لا يدركون هذه المفاهيم، ولكن يصلون إليها بعد التجربة الحسية، فلا بد أنهم يتذكرون علما سابقا لهم...ونتيجة هذا هو أنه لابد أن تكون نفوسنا قد وجدت قبل اتخاذها الهيئة الإنسانية، أي قبل اتحادها مع البدن، ولابد أن تكون عند ذاك حائزة على الفكر أي على العلم.***"[1] أي: أن النفس كانت في عالم المثل مطلقة وغير مقيدة فهي كانت متصلة مباشرة بالنفس الإلهية، وكانت آنذاك مدركة لجميع الأحوال والمعارف ؛ولكن عند اتصالها بالجسد فإنها فقدت خاصيتها الكلية فأصبحت نسبية مقيدة؛ ولكن عندما يبدأ الإنسان في اكتساب المعارف والمعلومات فإنه يبدأ باسترجاع كل ما كان يعرفه في عالم المثل؛ وعليه فإن أفلاطون يرى بأن الأفكار التي توجد في العقل ماهي إلا انعكاس لأفكار المثل الإلهية في الذهن الإنساني، وأن المعرفة أساسها الأفكار الفطرية القبلية الموجودة في العقل ولا مجال للحواس والمعرفة المكتسبة فهي ظنية لا توصلنا للحقيقة المطلقة.

---

* أفلاطون(427ق.م – 347ق.م):أعظم فيلسوف في العصور القديمة من أسرة أرستقراطية أثينية، عمل في مضمار السّياسة، كما أنه تضلع في الفنون وأخذ مبادئ الفلسفة عن أقراطيس، وهو تلميذ سقراط أخذ منه أن الفضيلة معرفة والرذيلة جهل. هذا التعريف اعتمادا على ما جاء في: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 71.

1- أفلاطون، **محاورة فيدون في خلود النفس**، تر: عزت قرني، ط3، (القاهرة، دار قباء، 2001)، ص 44.

وكذلك الرواقيون*(القرن 4ق.م): أقرّوا بأن الأفكار الفطرية هي الأفكار التي توجد في العقل، والتي لايمكن أن نكتسبها فهي عقلية خالصة، حيث نجد أن جميع البشر يشتركون في هذه الأفكار، إنهم يرون أنّ: "***الأفكار الفطرية تولد في العقل الإنساني منذ الولادة ويشترك جميع الناس في الإقرار بها.***"[1] ومعنى هذا أن الأفكار الفطرية لها نفس الخصائص عند جميع البشر، فهي لا تختلف من شخص لآخر، لهذا فإن جميع الناس لهم نفس الأفكار؛ وعليه فالأفكار الفطرية لديهم هي الأفكار التي تكمن في العقل والتي يولد الطفل مزود بها فمنذ ولادة الطفل تولد معه الأفكار لدى فإن جميع الناس لهم أفكار مشتركة؛ وعليه فإنهم سوف ينظرون لها بنفس النظرة ويقرّون بها بنفس الأسلوب والطريقة.

أما مالبرانش*(1638-1715): فيرجع الأفكار الفطرية إلى مصدر أزلي وهو العقل الإلهي، لأن عقل الإنسان قاصر وليس لديه القدرة على إصدار الأفكار، فالأفكار التي توجد في العقل لها مصدر أساسي وهو الله، لذلك فإن العقل ليس هو مصدر الأفكار فمن منظوره أنّ: "***الأفكار توجد في الموضوعات التي يدركها العقل مباشرة وهي أزلية ضرورية وأساس مصدرها هو العقل الإلهي الذي يمدنا بأعداد لا متناهية منها، لأن من يملك القدرة على خلقها هو الموجود الكلي الوجود ألا وهو الله تعالى.***"[2] أي: أنّ مالبرانش يرجع جميع الأفكار التي توجد في العقل إلى العقل الكلي أو الأسمى الذي هو العقل الإلهي لأن عقل الإنسان يتميز بأنه قاصر وناقص، وليس لديه القدرة على خلق أفكار من العدم، لذا فهو يرجع الأفكار التي تكون في عقل الإنسان إلى مصدرها الأولي والأساسي هو الله ومنه؛ فإن الإنسان يدرك ويسترجع الأفكار الكامنة في الموضوعات والتي يتم إدراكها بطريقة مباشرة، لدى فهي مرتبطة مباشرة بالإله لأنه هو مصدرها الأولي والأصلي ولا يمكن أن يكون عقل الإنسان هو مصدرها

---

* الرواقيون (القرن 4ق.م) إحدى الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلينستية –الرومانية– أسسها زينون الكيني في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وتستمد اسمها من الرواق وهو يهو ذو أعمدة حيث كان يعلم في أثينا، وإليه تعزى جميع النظريات الأساسية. هذا التعريف اعتمادا على ما جاء في: زكي نجيب محمود، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، (بيروت، دار القلم)، ص 218.

1 – نقلا عن عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ط1، (بيروت، المؤسسة العربية ، 1984)، ج2، ص373.

* مالبرانش (1638 – 1715) فيلسوف فرنسي ولد في باريس، وكان الابن الأصغر لنيقولا دي مالبرانش، وقد نشأ مالبرانش بصفته أصغر أبناء الأسرة وآخر مولود لعائلة كبيرة مشوها ضعيف التكوين دائم الشكوى من تشويه خلقي في السلسلة الفقرية، كان قد بدأ يعاني منه منذ كان عمره ثلاثة أعوام ، فلم يبرح منزله إلاّ بعد أن تقدّم في دراسته تقدما جعله قادرا على متابعة منهج في الفلسفة في كلية لامارش، وكان قد بلغ السادسة عشر من عمره. هذا التعريف اعتمادا على ما جاء في: راوية عبد المنعم عباس، **مالبرانش والفلسفة الإلهية**، (بيروت، دار النهضة العربية، 1996)، ص 35.

2 – إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (الإسكندرية ، دار الوفاء، 2000)، ص171.

وهذا ما يرفضه مالبرانش أي: يرفض أن العقل هو مصدر الأفكار وهذا يستلزم أن يكون لها مصدر آخر غير العقل الإنساني القاصر ويربطه بالعقل الكلي الكامل وهو العقل الإلهي.

كما نجد أيضا ليبنتز*(1646– 1716): الذّي يقر بأن الأفكار الفطرية هي أساس المعرفة لأنها تتميز بالصحة والدقة والوضوح والبداهة فهي الأفكار التي توجد في العقل؛ وعليه فالأفكار القبلية لا يستطيع الإنسان أن يتعقّل الحقائق من دونها إذن الأفكار الفطرية هي العقل ذاته الذي نتعقل به في نظر ليبنتز فيقول:"**لا يكون في العقل شيء لم يسبق في الحس إلا العقل نفسه.**"[1] أي: أن العقل توجد فيه أفكار من ذات العقل أي فطرية ولا مجال للأفكار الحسية أو المكتسبة.

وديكارت(1596 – 1650) عرفها بقوله: "**ولما مررت بعقلي على كل الأشياء التي عرضت لحواسي، فإنني أجرؤ على القول بأنني لم ألاحظ شيئا منها لم يسهل على تفسيره بالمبادئ التي اهتديت إليها.**"[2] أي: أن ديكارت يرى بأن جميع الأفكار والمبادئ التي تكون في العقل ليست مكتسبة؛ بل فطرية فيه وهذا يعني أنّ كل فكرة في العقل هي فكرة صحيحة ويقينية ومن خلالها نصل إلى المعرفة الدقيقة والصحيحة وهي المعرفة الحقّة.

---

* ليبنتز (1646 – 1716) أعظم فيلسوف قبل كانط وعالم رياضيات ولاهوتي وكيميائي وهندسي ومؤرخ دبلوماسي وبعد وفاة والده أصبح مؤدب نفسه بنفسه فتعلم اللاتينية بمفرده وقبل أن يبلغ الحادية عشرة من العمر أمكن له أن يقرأ في مكتبة أبيه المتوفي أعمال فرجيليوس وهوراسيوس وأوزونيوس والقديس توما وزباريلا وسواريز ولوثر.ثم عكف على تعلم اليونانية ولكن منذ ذلك الزمن صار المنطق والميتافيزيقا هما مصدر هواجسه. وهذا اعتمادا على ما جاء في: جورج طرابيشي، مرجع سبق ذكره، ص578.

1 – إميل برهييه، **تاريخ الفلسفة**، تر:جورج طرابيشي، ط1، (بيروت،دار الطليعة، 1983)، ج4، ص313.

1 – رينية ديكارت، **مقال عن المنهج**، تر: محمود محمد الخضيري، ط3، (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة، 1985)، ص: 271.

المطلب الثاني: خصائص الأفكار الفطرية.

1/ **عقلية:** الأفكار الفطرية في نظر ديكارت هي أفكار توجد في العقل الخالص ولا مجال آخر لها، فهي من عند الله أودعها في العقل، تتميّز بالوضوح والبداهة ولا تتعرض للشك لأنها معرفة حقيقية وكاملة لا تعتمد على الحواس لأن الحواس خادعة وغامضة ومركبة وتحتاج إلى التحليل والبرهنة بعكس الأفكار الفطرية البسيطة، فنجد هذا في قول ديكارت: ***"العقل يملي علينا أن كل ما يحصل عندنا من صور ذهنية ومعارف يجب أن يكون أساسها من الحقيقة، لأن الله الذي هو تام في كماله وفي ثبوته لم يكن ليضعها فينا لولا ذلك."***[1]، هنا يبين لنا ديكارت أن المعرفة الحقيقية واليقينية الموثوق في صحتها هي التي تعتمد على الأفكار الفطرية الصادرة عن الله والتي غرسها في عقل الإنسان ، فهي عقلية خالصة ولا تتعرض للشك ولا تخضع للحواس لأن الحواس مصدر الشك والغموض، فهي أفكار واضحة ومتميزة وبديهية، وهذا ما يلتمسه ديكارت بشكل واضح في القضايا الأولية للرياضة التي تتميّز بالبداهة؛ ومنه فإن الأفكار الفطرية مصدرها الأساسي هو العقل، فهي تكون في العقل بطريقة مباشرة، وهي متجلية فيه فقد أودعها الله في العقل.

2/ **قبلية:** الأفكار الفطرية أفكار قبلية أزلية مصدرها الله، فهي صدرت عن الإله منذ الأزل وقام بإيداعها في العقل، وقبل إتحاد الجسد والنفس كانت هذه الأفكار توجد في النفس الكلية التي كانت في العالم الإلهي، فهي عارفة لكل الحقائق والمعارف اليقينية والكلية(المطلقة)، وعند اتحاد الجسد والنفس يصبح العقل يدرك ويسترجع الأفكار، فهي تكون فيه على شكل استعدادات وميولات عندما يسترجعها يجد نفسه يعرفها من قبل، فلهذا يرى ديكارت أن الأفكار الفطرية أزلية قبلية وجودها سابق لوجود الإنسان، وهذه الأفكار يودعها الله في عقله، فلهذا يولد الإنسان مزود بها بواسطة القوة الإلهية، وهذا ما نجده في قول ديكارت: ***"الأفكار التي كانت لي عن كثير من الأشياء الخارجية الأخرى، كما عن السماء، والأرض،***

1 – المصدر نفسه، ص 233.

والضوء، والحرارة، فلم أجد كبير عناء في معرفة ما أتاها، لأنني لم ألاحظ فيها ما يجعلها تبدو متفوقة عني، أمكنني الاعتقاد بأنها إذا كانت حقيقة فهي مما ينجم عن طبيعتي، ومن حيث هي متمتعة بشيء من الكمال، وإن لم تكن كذلك فهي آتية من العدم، أعني أنها كامنة فيا من حيث أني حامل للنقص." [1]

وهذا ما يؤكد به ديكارت على أن الأفكار في عقل الطفل قبل ولادته تكون بالقوة الإلهية وليس بالفعل الإنساني أي: لا يكتسبها الإنسان بإرادته فلا يوجد مجال للحواس في اكتساب هذه الأفكار من العالم الخارجي؛ بل هي عقل الإنسان منذ القدم لذى فهي قبلية أي وجودها قبلي وليس مكتسب.

3/ **بسيطة:** الأفكار الفطرية تتميز بالبساطة لأنها عقلية خالصة تقبل مباشرة ولا تحتاج إلى تحليل وتوضيح، فهي واضحة وبديهية ودقيقة بذاتها فلا تحتاج إلى البرهان عليها، فهي بسيطة بذاتها لا تقبل الشك وغير غامضة ولا مركبة، ***"لبساطتها تدرك بالذهن مباشرة"*** [2] أي: أن الأفكار الفطرية بسيطة موجودة في العقل بطريقة مباشرة لهذا فهي بديهية؛ لأن الأفكار المركبة والغامضة لا تدركها البداهة لأنها تتميز بالوضوح والتميّز والبساطة، كما أن الفكرة البسيطة تكون تعرف بشكل كلي أو تجهل بشكل كلي وليس لها أجزاء، فهي غير مركبة، هي تلك التصورات البسيطة التي ينشئها العقل والتي هي أساس المعرفة.

4/ **بديهية:** الأفكار الفطرية بالنسبة لديكارت تتميز بالبداهة فهي أفكار واضحة بذاتها وفي ذاتها وحقيقية لا تحتاج إلى التدليل والبرهنة، لأنها صادرة عن الله وأودعها في عقل الإنسان، فهي تستعمل في التدليل والبرهنة ولا نستطيع التدليل والبرهنة عليها فهي بسيطة ولا تتميز بالغموض والتركيب والشك، لأنها لا تعتمد على الحواس في المعرفة لأن الحواس تتميز بالغموض والتركيب والخداع والشك، فهي مفهومة وواضحة في ذاتها وهذا ما نجده في قول ديكارت: ***"أنا لا أدخل في أحكامي إلا ما يمثل لعقلي في وضوح***

1 – رينيه ديكارت، **حديث الطريقة**، تر: عمر الشارني، ط1، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 186.
2 – نقلا عن عثمان أمين، **ديكارت**، ط6، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1987)، ص 87.

وتميز، لا يكون لديّ معها أي مجال لوضعه موضوع شك"[1]، فهنا يؤكد لنا ديكارت أن في منهجه المعرفي أنه يعتمد على العقل الخالص لأن الأفكار الموجودة في العقل بديهية وواضحة ولا تحتاج إلى التحليل والتعليل والبرهنة لأنها مفهومة بذاتها ولا نستطيع أن نشك فيها، لأنه يعتبر الحواس مصدر الشك والغموض فلهذا ابتعد عنها واعتمد في معرفته على البداهة الكامنة في العقل. وأيضا قوله: ***"البداهة هي نتيجة فعل بسيط فوري وحدسي للعقل المجرد، أو هي مجموعة الأفكار الصحيحة كفكرتنا عن المثلث، فكل واحد منا يرى بأن المثلث محدود بواسطة ثلاث خطوط"***[2]، فهنا يوضح لنا ديكارت البداهة التي تتميز بها الأفكار الفطرية والتي اعتبرها هي نتيجة عقلية بسيطة وآلية فورية لا تحتاج إلى تفكير ولا تحليل ولا برهنة، فهي مجموعة من الأفكار الفطرية الصحيحة التي توجد في العقل مثل فكرة المثلث، كل إنسان له فكرة مباشرة وقبلية لا يشك فيها ويحتاج إلى التعليل والبرهنة والتوضيح لأنها واضحة بذاتها ولا يمكن أن نبرهن عليها لأن المثلث له ثلاث خطوط هي حدوده وله ثلاث رؤوس، وهذا شيء بديهي للكل.

5/ **متميّزة (التميّز):** الأفكار الفطرية ما يميزها أنها متميزة وواضحة ودقيقة بذاتها لأنها عقلية بديهية واضحة، وتجعل العقل لا يقع في الالتباس مع أي فكرة أخرى أي: أن الأفكار الفطرية بسيطة غير معقدة وهذا ما يجعلها تمتاز بالتميز عن غيرها من الأفكار المعقدة والمتشابكة وهذا كله من أجل الوصول إلى معرفة صحيحة فيقول ديكارت: ***المعرفة المميزة هي المعرفة التي بلغ من دقتها وباختلافها عن كل ما عداها أنه تحتوي في ذاتها إلّا ما يبدو وبجلاء لمن ينظر فيها كما ينبغي.***[3] يؤكد لنا ديكارت أن المعرفة العقلية وخاصة الأفكار الفطرية مميزة وواضحة، فكل فكرة مميزة ودقيقة بذاتها عن غيرها من

---

1 – رينيه ديكارت، **مقالة الطريقة**، تر: جميل صليبا، (موفم للنشر، 1991)، ص 22.

2 - Extrait de Tahar benguiza, **Le rationalisme concorataire de la philosophie chezleibniz** , série $_6$, (université tunis, 2001), p 200.

3 – رينيه ديكارت، **مبادئ الفلسفة**، تر: عثمان أمين، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993)، ص 84.

الأفكار كما يقول أيضا: ***"الأشياء التي نتصورها بكثير من الوضوح والتمييز كلها صحيحة."*** [1] هنا يؤكد لنا ديكارت أن الفكرة المميزة هي الفكرة التي تكون مستقلة بذاتها في معناها ولا تختلط مع معنى آخر لفكرة أخرى، ولا تجعل العقل يقع في هذا الالتباس فهو يميز بين كل فكرة وأخرى فهي بديهية وواضحة لا تعتمد على الحواس، لأن الحواس هي التي تجعل هذا الالتباس والخطأ والغموض؛ وعليه فإن الأفكار الفطرية المتجلية في الذهن تعتمد على العقل وتمتاز بالتميز والوضوح ولا تعتمد على الحواس المخادعة النسبية.

6/ **الوضوح:** الأفكار الفطرية تتميز بالوضوح لأنها أفكار من صنع الإله والتي أوجدها في عقل الإنسان، ويولد مزود بها ولا يكتسبها فلهذا هي أفكار واضحة بذاتها وبسيطة لا تحتاج إلى تفسير وتحليل وبرهنة عليها، إذن عندما نقول ميزة الوضوح على فكرة ما، فهي تكون واضحة جلية بحد ذاتها، فيستوعبها العقل ولا تتعرض للشك ولا تكون معتمدة على الحواس فتكون عقلية خالصة، فلهذا يقول ديكارت: ***"الإله كائن أو موجود، ولأنه كائن كامل، ولأن كل ما فينا آت منه. وينتج عن ذلك أن فكرنا أو مدلولاتنا مادامت أشياء واقعية، وآتية من الإله في كل ما لها من وضوح وتميز فلا يمكن أن تكون إلا صحيحة. "*** [2]، هنا يؤكد على ميزة الوضوح أي: تكون فكرة بسيطة وواضحة للعقل فيقبلها لأنها عقلية خالصة بعكس الأفكار الغامضة والمعقدة وهي الأفكار المكتسبة التي تكون خارجة عن العقل، والتي تكون مصدرها الحواس بحيث لا تقبل هذه الأفكار لأن الحواس مصدر شك وغير يقينية، فهي لا تحتاج إلى تفسير وتعليل وبرهنة حتى يقبلها العقل.

[1] – رينيه ديكارت، **حديث الطريقة**، المصدر السابق، ص 229.

[2] – المصدر نفسه، ص 233.

المبحث الثاني: الأفكار الفطرية و المعرفة عند العقليين.

المطلب الأول: مفهوم المعرفة عند العقليين.

نجد أن الفلاسفة العقلانيين اختلفوا فيما بينهم في طريقة استخدام العقل للوصول إلى المعرفة ومن بين هؤلاء الفلاسفة نذكر ديكارت الذي يقرّ بالأفكار الفطرية للوصول للمعرفة، وسقراط الذّي يبني فلسفة المعرفة على العقل ويرفض أن تكون مبنية على الحواس لأنه لو كان كذلك لكانت المعرفة الواحدة متعددة أي: أن المعرفة تكون مختلفة من شخص لآخر لأن كل شخص ينظر إلى تلك المعرفة عن طريق حواسه لهذا هو يقرّ بوجود أصل للمعرفة يكون ثابت غير متغير، ولا يمكن أن يختلف الناس فيه لذ يقول سقراط: ***"لا بعقل أن تكون المعرفة مبنية على الحواس، لأن الحواس تختلف باختلاف الأفراد والظروف والأحوال، فعلينا أن نلتمس أصلا ثابتا للمعرفة لا يختلف فيه الناس أبدا. وإذا نظرنا إلى معارفنا رأينا أنها تنطوي على إدراكات جزئية تأتينا عن طريق الحواس، وعلى إدراكات كلية ليس لها وجود في الخارج."***[1] أي: أن سقراط هنا يقرّ بأن المعرفة تكون عن طريق الإدراك؛ لكن لديه نوعين من الإدراكات، إدراكات جزئية تكون في الخارج عن طريق الحواس، و إدراكات كلية تكون في العقل ولا يمكن أن تكون في الواقع، فهي مجردة في العقل.

وعليه نصل إلى أن سقراط يرفض المعرفة التي تكون بالحواس، ويعتبرها جزئية نسبية؛ لكن هو يقرّ بالمعرفة العقلية الكلية المطلقة التي تكون مجردة في العقل فيقول سقراط: ***"أنّ هذا الإدراك لشيء لا يحس ولا وجود له في الخارج هو إدراك كلّي لا يرتاب عاقل في كونه من عمل العقل وحده. وهذا الإدراك الكلي هو الذي يجب أن تؤسس عليه المعرفة فإذا كانت المدركات الحسية الجزئية تختلف باختلاف الأفراد والظروف والأحوال والأوضاع فإن العقل الذي هو عام ومشترك بين الناس لا يختلف***

[1] – نقلا عن نديم الجسر، **قصة الإيمان بين الفلسفة والعقل والإيمان**، ط1، (بيروت، منشورات المكتب الإسلامي، 1961)، ص 38.

مادام سليما. ونحن بهذه الإدراكات الكلية العقلية نستطيع أن نضع لكل شيء حدا وتعريفا، ونستطيع بهذا أن نضع مقاييس صحيحة ثابتة للحقائق ونعرف ماهي الفضيلة." [1] فسقراط هنا يقرّ بالإدراك الكلي للوصول للمعرفة اليقينية الصحيحة ولا يقرّ بالحواس لأن المعرفة الجزئية مختلفة من شخص لآخر حسب الظروف والأحوال، وهذا ما جعله يرفضها؛ ومنه فإن العقل هو أساس المعرفة السليمة الحقّة، ومن خلال عقلنا نستطيع أن نصل إلى أي شيء نريد معرفته.

أما أفلاطون فيرى أن المعرفة تكون في النفس أي: النفس هي مصدر المعرفة وهنا يقصد النفس البشرية قبل أن تتصل بالبدن أو الجسد تكون في عالم المثل أو العالم الإلهي، فتكون عارفة لكل الحقائق والمعارف الإلهية لأنها متصلة بالنفس الإلهية، فلهذا يقول: أن النفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام عقلية، خيالية، حسية، فهي متحدة مع العقل والخيال والحس، فعندما تكون النفس متصلة بالحواس أو العالم الخارجي تصبح النفس عين الحواس، والحواس ماهي إلا آلة وضعية ثانوية فعند عملية الإحساس تتأثر الحاسة وتدرك النفس وهذه هي العملية الانفعالية التي تثير النفس فتقوم النفس بعملية الإدراك وهو يعطي صورة أو الحصول على صورة في الذهن. وهذا ما نجده في قول أفلاطون: ***فالنفس عند إدراكها للمحسوسات تصير عين الحواس، والحس آلة وضعية، فعند الإحساس يحصل أمران: تأثر الحاسة وإدراك النفس"*** [2].

أما أوغسطين*(430م-351م)، يرى أن المعرفة تشمل على نوعين أساسيين من المدركات وهي مدركات مادية ومدركات معنوية.

---

1 . المرجع نفسه، ص 38.

2 – نقلا عن حسن محمد مكي، المرجع السابق، ص 82.

* أوغسطين (430م-351م) يعتبر أعظم من ترك أثر في الفكر اللاهوتي المسيحي في الفترة مابين بولس الرسول والقديس توما الإكويني، كما أنّه ترك أثر في القانون والتاريخ وعلم النفس ولم يقتصر على العقيدة والأخلاق فقط. كما أنّه قاد الإصلاح الإنجيلي في القرن 16، وجدوا في فكره وكتاباته نورا اهتدوا به في حركة الإصلاح، ولا يزال اللاهوتيون المحدثون ينظرون إلى آرائه بوافر التقدير. هذا اعتمادا على ما جاء في: فايز فارس، **الأخلاق المسيحية**، ط1، (القاهرة، دار الثقافة للنشر، 1992)، ج2، ص 28.

أولا: المدركات المادية والتي تنشأ من انتباه النفس للتغيرات التي تحدث في الجسم، وعندما تحدث هذه التغيرات تقوم النفس بعملية الإدراك وهذا العمل يخص النفس وحدها "***المدركات المادية تنشأ من انتباه النفس لما يحدث للجسم ثم يعقبها إدراك النفس وحدها.***"[1]

ثانيا: أما المدركات المعنوية وهي التي تشمل عالم المثل، أو غير الظاهر والتي تحتوي على إدراك الله وإدراك النفس والملائكة وللأحكام الصادرة سواء عن العالم المحسوس الخارجي، أو العالم الروحاني المثالي "***المدركات المعنوية إدراك الله، النفس، الملائكة، والأحكام الصادرة على الماديات أو الروحانيات.***"[2]

وباسكال*(1623 – 1662): الذي يحدد المعرفة العقلية بأنها ***تستخدم في مجال الرياضيات وخاصة التحليل والتركيب في الجبر ومعادلاته تدفعنا إلى التسليم بوجود موضوعات لا تحتمل التجزئة.***[3]

أي: أنه يرجع المعرفة العقلية إلى الرياضيات بصفة خاصة وكل ماله علاقة بها؛ ومنه نتوصل إلى أن باسكال حدد مجال المعرفة العقلية في أعمال الجبر والهندسة والمعادلات الرياضية والتي تعتمد على الاستدلال والبرهان والتحليل العقلي أما ***مجال المعرفة القبلية في الإيمان بالله تعالى والتدليل على وجوده وغيرها وكل ما يتصل بالأمور الإيمانية***[4] أي: أن باسكال يقرّ بأن المعرفة القبلية تكون في الجانب الروحي من خلال الإيمان بالله وكيف نتوصل أو ندلل ونبرهن على وجوده بطريقة منطقية وصحيحة.

---

1 – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 26.

2 – المرجع نفسه، ص 26.

* باسكال(1623–1662) كاتب ومفكر لا ينبذه أحد ولا يضاهيه إلاّ قلائل، إنسان يخاطب قلب كل إنسان ولد في كليرمون (فرنسا)، تفتحت مواهبه في وقت مبكر، وخامرته رغبة قوية في أن يعرف بالتجربة علل جميع المعلولات التي كانت تقع تحت ملاحظته، مات عن عمر يناهز 39. اعتمادا على ما جاء في: جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 178 – 180.

3 – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 153.

4 – المرجع نفسه، ص 155.

أما سبينوزا*(1632 – 1677): يرى أن الرياضيات حسب منظوره المعرفي هي الأساس الذي يجد به الحل لأسرار هذا الكون المليء بالغموض والمبهمات واكتشاف قوانينه، فلهذا لجأ إلى الهندسة نموذجا الذي بني على غراره فلسفته لأن الهندسة تبدأ بقضايا صادقة بذاتها تكون هي نقطة البدء لكي نبني صرحا معرفيا، الغرض منه تحقيق السعادة القصوى، فإن سبينوزا وجد نقطة البدء للوصول أو لبناء صرح معرفي تكمن في الله تعالى فرأى سبينوزا أن الفكرة الصادقة هي الفكرة التي تكفل ذاتها بذاتها، فلا تحتاج إلى ما يضمن صدقها أو كذبها، لأن الفكرة إذا كانت لا تكفل الصدق بذاتها وفي ذاتها وتحتاج إلى ما يضمن صدقها خارج عن ذاتها فإن الأمر يؤدي بنا في النهاية إلى الشك المطلق في حقيقة الفكرة في قول سبينوزا: "***إن الفكرة الصادقة هي معيار الصدق، فكما أن الضوء يكشف عن نفسه وعن الظلام في آن واحد، كذلك فإن الصدق هو معيار نفسه ومعيار الكذب في نفس الوقت ومن حصل على معرفة صادقة عرف في الوقت نفسه أنّه حصل على معرفة صادقة لا يمكن لأحد أن يشك فيها.***"[1]

المطلب الثاني: علاقة الأفكار الفطرية بالمعرفة لدى العقليين.

إن جل تفكير الفلاسفة كان عن المصدر الرئيسي للمعرفة الحقيقية، حيث نلاحظ التناقض والتصادم الذي يقع فيه الكثير من الفلاسفة، وظهور اتجاهات مختلفة، هناك المذهب الحسي الذي يرى أن المعرفة تعتمد على الحواس، والتجربة للوصول إلى الحقيقة في العالم الخارجي، والمذهب العقلي الذي يرى أن المعرفة تعتمد على العقل الخالص، وأن هذه الأفكار توجد فيه بالقوة، وهي أفكار فطرية ولا تترك للحواس أي مجال، وهناك من الفلاسفة العقليين الذين يتركون مجال للحواس؛ ولكن هذا المجال مجرد عمل

* سبينوزا (1632.1677)، باروخ أوبندكتس، ولد في أمستردام قضى حياته جلّها في الدرس والتأمل، وهو من أسرة من اليهود البرتغاليين، فتعلّم اللاتينية على يد إرميا فلبنغر ثم أتقنها على يد فان دن إندن، فكان يتكلم الإسبانية في أسرته والهولاندية مع النصارى من مواطني مدينته، فقرأ ديكارت وتأثّر به ثم بدأ سبينوزا في تحرير المقالة الأولى في الأخلاق مبرهنا عليها وفق طريقة الهندسيين، لكنه لم يكمل تحريره لكتاب الأخلاق فبدأ في كتابة كتابه الرّسالة اللاهوتية . السياسة. جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 359 – 360.

[1] – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 196.

ثانوي، فهي مجرد مثيرات أو منبه للعقل، فمثلا عندما نرى تفاحة فإن الحواس تنقل هذه الصورة إلى الذهن، وهو يقوم بعملية إدراك هذه التفاحة. إننا سنحاول التطرق إلى الاتجاه العقلي حيث نتوقف عند بعض فلاسفة هذا المذهب، ونتعرف على علاقة المعرفة بالأفكار الفطرية عندهم، ومن أهم هؤلاء الفلاسفة نجد:

سقراط: إن الفيلسوف اليوناني سقراط أستاذ أفلاطون، من الفلاسفة العقليين الذين يرون أن المعرفة تكون في العقل، فهي يقينية وواضحة، أما المعرفة الحسية أو الواقعية فهي ناقصة وغامضة، وأن الإنسان يولد وهو مزود بأفكار من العالم المثالي، أو بالنور الإلهي الذّي أوجد فيه أفكار بالقوة والتي تدعى بالأفكار الفطرية وهذا ما يتمثل في قول سقراط: ***"أنا لست معلما، ولا أعلّم الشيء الجديد للتلاميذ إنّما دوري في التعليم هو تهيئة أرضية صالحة لأن أستثمر فكر المتعلّم، وأخرج العلوم والمعارف المكنونة في ذاته ونفسه، ليقف المتعلّم على ما كان يعلمه بالفطرة."*** [1] وفي هذا الصدد يبين لنا سقراط أنّ المعرفة الصحيحة واليقينية تقوم على الأفكار الفطرية التي توجد في عقل الإنسان قبل ولادته بالنور الإلهي والتي تتميّز بالكمال والدّقة والبداهة ولا تحتاج إلى تفسير وبرهنة فهي واضحة بذاتها، وأنّ الأفكار الفطرية تمثل المعرفة اليقينية التي يعتمد الإنسان على صحتها والوثوق بها، فنستخلص من خلال هذا الكلام أنّ سقراط يقرّ بأنّ المعرفة الحقيقية أساسها الأفكار الفطرية، والأفكار الفطرية هي المعرفة الحقّة.

أفلاطون: إن المعرفة عنده التي تقوم على استرجاع أو إدراك الأفكار السابقة التي كانت توجد في نفس الإنسان قبل ولادته– قبل إتحادها بالنفس– وإن هذه الأفكار وجدت بالقوة في المثل ومصدرها هو الله تعالى وهي عبارة أفكار فطرية توجد في عقل الإنسان، كما أنه يهاجم أصحاب المذهب الحسي الذين يقرون بأن المعرفة تكون بالإدراك الحسي وهذا لأن الحواس مخادعة وغامضة ونسبية وأنها من عقل

1 – نقلا عن حسن محمد مكي العاملي، المرجع السابق، ص 78.

الإنسان، وعقل الإنسان ناقص ومتناقض فلهذا معرفته ناقصة، أما المعرفة العقلية فهي تعتمد على البداهة والوضوح وهي من عند الله الذي يتميّز بالكمال فلهذا تكون المعرفة عنده كاملة، إذن من خلال هذا الكلام نستنتج أن أفلاطون يقر بأن المعرفة الحقيقية الكاملة هي التي تعتمد على الأفكار الفطرية أو الإلهية والتي تقوم على البداهة والوضوح والدقة، وأن هذه الأفكار هي أساس المعرفة الحقّة التي يعتمد على صحتها الإنسان، والتي يتزود بها الطفل قبل ولادته فيقول أفلاطون: ***"سنتفق أيضا أن المعرفة عندنا هي تذكر المرء شيئا يكون قد عرفه من قبل ذلك، فإذا أخذ شيئا ما أو سمعه أو أدركه بحس آخر، فإنه لم يعرف فقط هذا الشيء بل وكذلك فإنه سيفكر في شيء آخر ليس موضوعا لهذا العلم، بل لعلم آخر فمن الصواب أن نقول أنه تذكر ذلك جاءته فكرته."***[1] هنا يريد أفلاطون أن يوضح لنا أنّ المعرفة هي استرجاع أو تذكر الإنسان لشيء كان يعرفه من قبل والذي يوجد في النفس قبل إتحادها مع الجسد – في عالم المثل– لكن عند اتحادها مع الجسد نست ما كانت تعرفه، فإذا حدث انفعال أو أثير بالحواس في العالم الخارجي استرجعت النفس ما كانت تعرفه من قبل، كما أنّه يسترجع معارف أخرى والتي ليس مجالها العالم الخارجي الواقعي، بل العالم الخفي أو الروحاني، فلهذا نرى أنّ المعرفة تقوم على الأفكار الفطرية عند أفلاطون وهذه الأفكار هي أساس المعرفة لا يستطيع الفصل بينهما فهما مكملان لبعضهما البعض.

كما نجد ديكارت الذّي يعدّ من أبرز الفلاسفة العقليين الذّين أسسوا المذهب العقلي، وهو المذهب الوحيد الذي يستطيع الوصول إلى الحقيقة، لأنّ أصحابه يعتمدون على العقل كمصدر أساسي في البحث عن المعرفة، وأنّ العقل هو الملكة الواحدة المشتركة عند الناس جميعا، وأنّه يتميّز بالثبات و مطلقيه الأفكار الموجودة فيه وهذا ما نجده في قول ديكارت: ***"العقل هو أعدل الأشياء توزيعا بين الناس"***[2] فإنّ

1 – أفلاطون، **محاورة فيدون في خلود النفس**، المرجع السابق، ص 145.

2 – رينيه ديكارت، **مقالة الطريقة**، المصدر السابق، ص 03.

ديكارت قد أعطى للعقل مكانة عالية في بناء المعرفة فكان رافضا للمعرفة الحسية التي اعتبرها غير يقينية وغامضة وأنّ الحواس مخادعة، كما أنّه قد تأثّر بأفلاطون خاصة في النفس ووجود الله، فإنّه يعتبر أنّ المعرفة العقلية تقوم على البداهة واليقين والوضوح وهذا ما يتجلى في الأفكار الفطرية التي توجد في عقل الإنسان بالقوة الإلهية، هي الأفكار التي أودعها الله في عقل الإنسان قبل ولادته فلا يمكن أن نشكّ في صحتها، لأنّها ثابتة ويقينية إذن هي أساس المعرفة. فنتوصل أنّ المعرفة عند ديكارت تقوم على الأفكار الفطرية لأنّها من عند الله وأنّها تتميّز بالوضوح والكمال، فهي دائما توصلنا إلى الحقيقة المطلقة وأنّ الأفكار الفطرية هي المصدر الحقيقي للمعرفة أو هي المعرفة الحقّة وهذا ما يتمثل في قول ديكارت: ***"أن صورنا الذهنية ومعارفنا لما كانت موجودات خارجية، صادرة عن الله فهي بما هي به واضحة ومتمايزة، لا يمكن أن تكون إلا حقيقة."***[1] إذن يقرّ لنا منا ديكارت أنّ المعرفة جليّة وحاضرة في ذهن الإنسان بواسطة النور الإلهي وهي على شكل أفكار بسيطة وبديهية وواضحة بذاتها لا تحتاج منّا إلى تفسير ولا تحليل أو توضيح، فهي يقينية وكاملة ومطلقة لا تتعرّض إلى الشّك لأنّها توجد بالقوة الإلهية في الدّهن الإنساني وعليه فإنّ ***الحقائق الأبدية هي الأفكار الفطرية، فمن الواضح أنّ الحقائق الأبدية هي عمل الله، والله لا يخدع المولود بهذّه الحقائق لكي نعرف الأشياء لدينا فعل المعرفة هو دائما وسيلة لترجيب الحقيقة التي كانت موجودة.***[2] إذن إنّ ديكارت يقرّ لنا هنا بأنّ الأفكار الفطرية هي الحقائق الإلهية التي تعتمد عليها المعرفة، فهي يقينية ولا تخدعنا.

نستخلص من كلام ديكارت أنّ المعرفة عنده تكون يقينية اعتمدت على العقل والأفكار الفطرية التي توجد فيه بالقوة الإلهية، وأنّ الأفكار الفطرية هي أساس المعرفة الصحيحة.

---

[1] – رينيه ديكارت، **مقال عن المنهج**، المصدر السابق، ص 12.

2 - Extrait de Eric Brauns , **Descartes choix de lettres** , 1ére édition, (philosophie texte soumis à copyright , 1988), p 13.

وعليه نتوصل من خلال هذا إلى أنّ العلاقة بين الأفكار الفطرية والمعرفة تكمن في أنّ الأفكار الفطرية هي أساس المعرفة الحقيقية وأنّ المعرفة اليقينية لا تكون يقينية إلاّ من خلال اعتمادها على الأفكار الفطرية. فالمعرفة لا تستطيع الاستغناء على الأفكار الفطرية، والأفكار الفطرية هي أساس المعرفة.

الفصل الثاني:
ديكارت والأفكار الفطرية

المبحث الأول: حياة ديكارت وأهم مؤلفاته.

المطلب الأول: حياة ديكارت.

ولد الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت في 31 مارس 1596 في قرية صغيرة تسمى لاهاي، أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان القاطبة من أسرة تعد من صغار الأشراف، كان أبوه بواكيم ديكارت ينتمي إلى نبالة أهل القضاء، أما أمّه فقد ماتت وهو يعدو الثلاثة عشرة شهرا.[1]

تتميّز حياة ديكارت بأنّها تنقسم إلى ثلاث مراحل وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: في هذه المرحلة التحق ديكارت بمدرسة لافليش سنة 1604،وهي مدرسة الآباء اليسوعيين ، وتعدّ من أشهر المدارس في أوروبا آنذاك,درس فيها ديكارت لمدة ثمانية سنوات حيث تعتمد هذه المدرسة في تدريسها على منهج معين،والذي تكون فيه السنوات الخمس الأولى تعتمد على اللغات القديمة (اليونانية . اللاتينية)، أما السنوات الثلاثة الأخيرة تدرس فلسفة أرسطو.

حيث نجد أن ديكارت أعطى اهتمام كبير للرياضيات، وهذا يرجع إلى أنه أعجب بما تحتويه من دقة وتميز ويقين، فهي دقيقة من حيث المنهج فنجد أن ديكارت كان بعيدا عن الفلسفة وهذا راجع إلى الأثر السيئ الذي تركته فيه من تضارب الآراء والحجج والمشكلات حول المسألة الواحدة أي: أن ديكارت لم يكن يهتم بالفلسفة لأنها تعتمد على التضارب في الآراء حول المشكلة الواحدة؛ لكن فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية فديكارت يقر بأنها معارف جزئية ناقصة وغير منسجمة فيما بينها ولا تتفق على منهج واحد فهو لم يكن مقتنع بالعلوم الطبيعة لأنها نسبية، وكان ميله إلى دراسة الهندسة سنة 1612– 1617 كما أنّه اكتشف خلال هذه الفترة علما رياضيا جديدا عرف فيما بعد باسم الهندسة التحليلية.

1 – نقلا عن جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 299.

المرحلة الثانية: أما في هذه المرحلة فإن ديكارت لم يستقر في مكان محدد، بل كان ينتقل ويسافر من مكان إلى آخر وتمتد هذه المرحلة من 1613 – 1629، فبدأ سفره من باريس وكان ذلك سنة 1613، حيث اهتم بدراسة القانون والطب، كما حصل على إجازة الحقوق عام 1616 ثم ذهب إلى هولندا، فتعرف على العالم الرياضي إسحاق بيكمان الذي اهتم بالرياضيات، والطبيعيات فكان له الفضل في توجيه ديكارت حتى قال له ديكارت: ذات يوم "كنت نائما وأنت الذي أيقظتني" ثم ذهب إلى ايطاليا بسبب أن يحج إلى دير العذراء بلوريت، وفي ذلك الوقت وبعد الليلة العاشرة من نوفمبر 1619 وفي هذه الليلة جاءه حلم وفيه اكتشف تجربة هامة والتي أسماها بالأحلام التي هبطت عليه من السماء، حيث اكتشف في هذه الأحلام أسس علم عجيب.

المرحلة الثالثة: أما في المرحلة الثالثة، ذهب ديكارت بزيارة لإيطاليا، ثم إلى فرنسا(باريس)، استقر فيها لمدة ثلاث سنوات من 1625 حتى1628، ثم انتقل أيضا إلى هولندا فبقي فيها مدة عشرين سنة، وكتب فيها إنتاجه الفلسفي أما في عام 1647كان ديكارت يراسل الأميرة إليزابيث ابنة الملك فريدريك ملك بوهيميا، وفي سنة 1649 أنشأ ديكارت علاقة صداقة بينه وبين ملكة السويد كريستينا، فكان يقدم لها دروسا فلسفية في الصباح المبكر يوميا ولم يكن ديكارت يحتمل ذلك البرد القارص فأصيب بالالتهاب الرئوي مات على إثره يوم 19 فبراير 1650 عن عمر يناهز ثلاث وخمسون سنة(53 سنة).[1]

1 – إبراهيم مصطفي إبراهيم، المرجع السابق، ص 71.

المطلب الثاني: مصادر فكر ديكارت:

إنّ أهم المصادر التي اعتمدها ديكارت في فلسفته تتمثل في التالي:

1/ الفكر اليوناني: لقد تأثّر ديكارت بمجموعة من الفلاسفة اليونان، فأخذ عنهم فكرة الشك وتتجلى هذه الفكرة عند مجموعة من الفلاسفة نذكر منهم:

- أكسينوفان*(**570ق.م – 475ق.م**): حيث يعتبر فكر هذا الأخير متشبع بالشك من خلال أنّه بزغ الشك عند اليونان في فكره[1].

- **الايليون***: حيث أخذ عنهم أنّ بذور الشك في أنّ الواقع الحقيقي واحد وغير متغيّر، وعلى هذا الاعتبار فقد اعتبروا أنّ عالم المحسوسات عالم وهم وخداع[2].

وأيضا أنّ العالم الحقيقي لا يعرف إلاّ عن طريق الفكر الخالص الخالي من الحواس.[3]

---

* أكسينوفان(570ق.م – 475ق.م) مفكر يوناني عاش في قولوفون وكانت له آراء طريفة عن وجود الآلهة هاجم فكرة تشبيّه الله بالإنسان باعتبارها فكرة خاطئة، ومؤكدا أنّ الله واحد لا يشبه البشر لا في البدن ولا في الفكر، لكن عقله يحرّك جميع الأشياء بما يحتويه من فكر,اعتمادا على ما جاء في: راوية عبد المنعم عباس، **ديكارت أو الفلسفة العقلية**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989)، ص 122 – 123.

1– نقلا عن راوية عبد المنعم عباس، المرجع نفسه، ص 122.

* الإيليون: أطلق اسم الإيليين أول ما أطلق على الفيلسوف بارمنيدس وتابعه زينون، عاش أتباع هذا المذهب في إيليا(وهي مستعمرة إفريقية بجنوب إيطاليا).اعتمادا على ما جاء في: راوية عبد المنعم عباس، **ديكارت أو الفلسفة العقلية**، المرجع نفسه، ص 123.

2 – نقلا عن راوية عبد المنعم عباس، المرجع نفسه، ص 123.

3 – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص 64.

* هيرقليطس: عاش في أفسوس مدينة يونانية في آسيا الصغرى 500ق.م كان يرى أنّ وحدة العالم تكمن في تركيبه، أكثر مما تكون في مادته، وفسر المادة الأولية بالنار التي تتحكم في التحولات التي ينتقل بها كل مقوّم إلى غيره في الكون، والنار أول شئ على التغير في مذهبه والتغير كان ضروريا للتوحيد الدائم بين الأضداد. اعتمادا على ما جاء في: راوية عبد المنعم عباس، **ديكارت أو الفلسفة العقلية**، المرجع السابق، ص 124.

- **هيروقليطس***: تتمثل بذور مذهب الشك الأولى في فلسفته عن التغيّر والصيرورة[1].

السفسطائيون*: شككوا في العقائد والأفكار والعرف السائد وفي المعرفة والقيم، كما شككوا في الديمقراطية الأثينية[2].

بارمنيدس: يتفق معه في التميز الجدري بين المعقول والمحسوس، يتفق معه في أنّ المعقول هو طريق الحق وأنّ المحسوس هو طريق الوهم والزّيف[3].

2/ سقراط: أخذ عنه ديكارت أنّ العقل وحده هو الذي يسمح لنا بالمعرفة الواضحة، ولا يمكننا أبدا الوثوق بحواسنا[4].

3/ **أفلاطون:** أخذ عنه ديكارت أنّ العقل يجب إبعاده عن الحواس إذا كنا نريد بلوغ المعرفة الحقيقية[5]، وأنّ العقل وحده هو الذي يقودنا للمعرفة[6].

كما أخذ عنه أيضا أنّ ما ندركه بعقلنا هو أكثر واقعية وحقيقة مما ندركه بحواسنا، فقد أدرك ديكارت أنّ هذه الأنا المفكرة هي أكثر واقعية وحقيقة من العالم المادي الذي ندركه بحواسنا[7].

---

[1] – راوية عبد المنعم عباس، المرجع السابق، ص 124.

* السفسطائيون: الذين ظهروا في النصف الأخير من القرن الخامس، فقد نادوا بنسبية المعرفة. فالإنسان مقياس الأشياء جميعا، ومن أشهر السفسطائيين نجد بروتاغوراس، وجورجياس فقد كان منطوق مذهبه يعني أنّه لا يوجد شيء على الإطلاق وإذا وجد فلا يمكن معرفته. اعتمادا على ما جاء في: راوية عبد المنعم عباس، **ديكارت أو الفلسفة العقلية**، المرجع السابق، ص 124.

[2] – راوية عبد المنعم عباس، المرجع نفسه، ص 124.

[3] – نقلا عن مجلة دراسات فلسفية، عبد الفتاح سعيدي، **دور الكوجيتو الديكارتي في بناء العلم الحديث**، (العدد 02، مجلة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الجزائرية، جوان 2014)، ص 157.

[4] – نقلا عن جوستاين غاردر، **رواية حول عالم صوفي**، تر: حياة الحويك عطية، (دار المنى)،ص 247.

[5] – نقلا عن جون كوتنفهام، **العقلانية فلسفة متجددة**، المرجع السابق، ص 50.

[6] – جوستاين غاردر، المرجع السابق، ص 247.

[7] – المرجع نفسه، ص 251 – 252.

4/ أوغسطين: أخد ديكارت عنه فكرة أنّه يستخدم وجود الفكر للتدليل على روحانية النفس ولرفع الشك ويمضي من الفكر إلى وجود الله[1].

وأخذ عنه أيضا فكرة أنّه يستخدم الفكر للتدليل على الوجود الذاتي، لكن ديكارت استخدمه للتدليل على أنّ الأنا المفكر جوهر لا مادي[2].

5/ أنسلم: أخذ عنه ديكارت أنّ وجود الله لازم من ذات فكرة الله، أي من مجرد تعريفه[3].

المطلب الثالث: أهم مؤلفات ديكارت.

ومن أهم المؤلفات التي ألّفها ديكارت نذكر ما يلي:

1 / **العالم:** 1630، ديكارت لم يقم بإخراج هذا الكتاب في نفس التاريخ وهذا لسبب محاكمة رجال محاكم التفتيش في أوروبا لجاليلو عام 1632، فتوقف قليلا عن إصداره لأنه يحب راحة البال من ناحية، ومن ناحية أخرى لاحظ أنّه متفق مع جاليلو على الأقل في نقطتين من نقاط بحثه.

أولا: دوران الأرض حول الشمس وليس العكس كما كان شائعا.

ثانيا: لا نهاية للعالم، فالعالم ليس محدودا كما كان يعتقد، وهناك كتاب آخر لديكارت بعنوان قواعد لتوجيه العقل 1628، ولكنه لم يتمه وكان يهدف منه الفلسفة على أساس بناء جديد يكفل لها التحدي لتيارات الفلسفات القديمة ويصونها من التردي في مهاوي الشك وضلالات الوهم وتعصم العقل من الوقوع في الخطأ.

1 – نقلا عن يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، (القاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر)، ص 77.
2 – نقلا عن يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط، (القاهرة، دار المعرف)، ص 69.
3 – نقلا عن يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 81.

2/ **مقال عن المنهج:** 1637، لم يظهر هذا الكتاب حين نشر للمرة الأولى ككتاب مستقل وإنما كمقدمة لثلاثة كتب نشرت معه، وهذه الكتب هي: 1. البصريات أو انكسار الضوء، 2.الآثار العلوية، 3. الهندسة التحليلية.

3/ **تأملات في الفلسفة الأولى:** 1641 عكف ديكارت على تأليفه لمدة أثنى عشرة سنة، وجل موضوعاته تدور حول براهين على وجود الله، وخلود النفس وقبل إرسال الكتاب إلى المطبعة أرسله إلى مجموعة من الفلاسفة ورجال اللاهوت لكي يسجّلوا رأيهم واعتراضاتهم على ما آثاره المؤلف فيدوّنوها ويسجل ديكارت ردوده عليها قبل نشرها.[1]

4/ **مقالات فلسفية:** سنة 1638 وقد ألحق بهذا الكتاب ثلاث رسائل تطبيقا على ما جاء به من نظريات وعلى الرّغم من أنّ ديكارت قد أصدر هذا الكتاب وملحقاته الثلاث غفلا إلا أن أحدا في أوروبا لم يرتب في أنّ مؤلفه هو ديكارت.[2]

5/ **مبادئ الفلسفة:** 1641، وهذا الكتاب أهداه ديكارت إلى جامعة السّربون، وحاول أن يحمل معلميه السابقين على تقريره في مدارسهم فيحل هو محل أرسطو لكن لم يجيبوه إلى رغبته، ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية 1647 مع إهداء إلى الأميرة إليزابيث ورسالة إلى المترجم عرض فيها فلسفته عرضا عاما وبيّن ما بينها وبين الفلسفة القديمة من تعارض.

6/ رسالة في انفعالات النفس: 1650، وهو كتاب في علم النفس، آثار فيه إلى ما يتصل بالإلهيات وبيّن فيه السبيل الواضح والصحيح العلمي للسيطرة على أهواء الإنسان وشهواته للوصول إلى الحياة السعيدة الفاضلة.[1]

1 – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 72 . 73.

2 – نقلا عن زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936)، ص 97.

المبحث الثاني: المعرفة والأفكار الفطرية عند ديكارت.

المطلب الأول: مفهوم المعرفة عند ديكارت.

إنّ حقيقة الوصول لأيّ معرفة دقيقة ويقينية يتطلب منّا إتباع منهج معيّن لبلوغ أي معرفة مطلقة وصحيحة، فديكارت اتبع منهجه للوصول إلى المعرفة والذي يعتمد على الشك أي: المنهج الشكي فنجد أنّ ديكارت شكّ في جميع الموجودات باعتبارها تأتينا عن طريق الحواس من العالم الخارجي، وأنّ الحواس مخادعة لا توصلنا إلى الحقيقة وهذه أوّل نقطة انطلق منها ديكارت؛ وهي أنّه أوّل ما شك فيه هو الحواس، حيث تساءل في أكثر من موضع عن نسبية الحواس، فيقول مثلا ***يمكنك أن تحلم بحصان له جناحان، ولكن لأنك فقط رأيت جيادا وأجنحة***[2] أي: أنّه يمكن أن تتخيل شيء في ذهنك لكنه ليس واقعيا، بل هو مجرد وهم فقط مثلما ترى مناما وتعتقد أنّك في الحقيقة؛ لكن في الواقع أنت في حلم فقط وليس هذا هو الواقع، وهذا ما شكّ فيه ديكارت حيث نجد أنّه شك حتى في نفسه وفي حياته، فأقرّ لنا ماذا لو اتضح له في يوم ما أنّ حياته كلّها حلم وليست حقيقة وهذا ما جعله يشك في جميع الأشياء لكي يصل إلى الحقيقة. لهدا نجد أنّ ديكارت يجعل من الشك البداية الأولى للوصول إلى المعرفة الصحيحة ***"الشك كخطوة أولى للفيلسوف على طريق المعرفة، وقد عبّر عنها بكل الوضوح الممكن حين وضع الحقائق كلّها موضع البحث"***[3] أي: أنّ ديكارت يقرّ بأنّ أساس الوصول إلى المعرفة الدقيقة هو أن يشكّ الفيلسوف في كل الحقائق والأمور المتصلة بها، وهذا من خلال المواضيع التي يبحث فيها الفيلسوف، وهذا كلّه من أجل الوصول إلى المعرفة؛. ومنه فإنّ ديكارت يقرّ بأنّه يجب أن نبعد العقل عن الحواس إذا أردنا أن نبلغ المعرفة الصحيحة و الحقّة، ولهذا فإنّ المعرفة يجب أن تكون عقلية محضة لكي توصلنا

---

1 – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 73.

2 – نقلا عن برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنيطي، (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977)، ص 112.

3 – رينيه ديكارت، **العالم أو كتاب النور**، تر: إميل خوري، ط1، (بيروت، دار المنتخب العربي، 1999)، ص 08.

إلى المعرفة الدقيقة والمطلقة؛ وعليه فإن المعرفة حسب رأي ديكارت يجب أن تكون متصلة بالعقل اتصالا وثيقا و لا يجب أن تكون مرتبطة بالحواس، لأن الحواس مخادعة و لا يمكن أن نثق بها أي لا يمكن للحواس أن يكون لها دخل في المعرفة؛ وعليه فإن المعرفة المطلقة و اليقينية هي المعرفة العقلية الخالصة و ليست الحسية المكتسبة. و نجد حسب رأي ديكارت أن ***تحصيل المعرفة اليقينية التي تنبع من ذات المعارف بادئ ذي بدء، لا من موضوع المعرفة بعد استدلالات قد تكون مقدماتها ظنية أو مشكوكا فيها***[1]، أي أن الوصول للمعرفة الدقيقة و تحصيلها يجب أن يكون من المعرفة ذاتها و لا يكون من الموضوع الذي تدرسه المعرفة أي المعرفة من أجل المعرفة وليس من أجل موضوعها.

وعليه فإن ديكارت أحدث انقلاب أو ثورة معرفية في الفلسفة، حيث نجد أن القدامى كانوا يعتقدون أن الحقيقة أو اليقين يوجد في الموضوع الذي تعالجه المعرفة، و أن عمل الذات العارفة هو البحث والاجتهاد كي ينطبق الفكر على الموضوع أما ديكارت فكان قد عكس أو قلب هذا و اعتبر أن الذات العارفة هي أساس الحقيقة و المعرفة اليقينية، و أن موضوع المعرفة هو الذي يخضع إلى الذات العارفة وأن الميتافيزيقا أصبحت في خدمة العلم وهي الأساس الذي يتغذي منه العلم، فنجد أن ديكارت حينما يعرف الفلسفة يقول: *"**هي بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا و جدعها العلم الطبيعي و أغصانها باقي العلوم**"*[2]، فكان أساس المعرفة و الحقيقة عنده هو الاعتماد على الذات العارفة و التي تظهر لنا في النظرية الشهيرة و هي نظرية الكوجيتو *أنا أفكر إذا أنا موجود"*، فإن كل الموجودات و المعارف توجد داخل الذات لا خارجها، و هذا ما يتضح لنا بشكل جيد أن ديكارت عندما اكتسب المعرفة شك فيها جميعا، أو بشكل أخر ديكارت قد عرّض جميع معارفه للشك كي ينزع عنها كل الشوائب و يقوم بإعادة

1 – رينيه ديكارت، **مقال عن المنهج**، تر: محمود محمد الخضيري، ط3، (الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة، 1985)، ص 33.

2 – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلي هيوم**، المرجع السابق، ص 76.

تصفية و تنقية كل معارفه من الظنون و الغموض، فشك في كل الأفكار التي توجد في ذاته وما بقي إلا فكرة واحدة بديهية و واضحة التي اعتمد عليها في القضاء على الشك و هي فكرة الشك في حد ذاتها؛ كما اعتبر أنّ الشك هو بداية اليقين وهذا الشك يكون علميا لأن الذي يشك يجب أن يكون مفكر، والمفكر بالضروري أن يكون موجود، وهكذا أثبت ديكارت الذات العارفة في الكوجيتو"أنا أفكر إذا أنا موجود"، إنّ ديكارت من الذات العارفة أو الكوجيتو استطاع الوصول إلى حقيقة العالم، فقدم لنا مثال قطعة الشمع ***"لنأخذ مثلا هذه القطعة من الشمع إنها قد أخذت توًا من قرص العسل، فهي لم تفقد بعد طعم العسل تماما، وتحتفظ ببعض رائحة الأزهار التي جمع العسل منها، ومن السهل رؤية لونها وشكلها وحجمها، وهي صلبة باردة ويمكن أن تمسك من دون صعوبة، وإذا طرقت عليها بأصبعك أحدثت صوتا"***[1]، ففي هذا المثال أراد ديكارت أن يبين لنا الخصائص التي تتميّز بها المادة ونستخلصها بالحواس من ناحية الشكل واللون والرائحة والصوت والحجم.....الخ، فطبق ديكارت نظرية الكوجيتو على قطعة الشمع فيقول: ***"لو وضعت الشمعة بجانب النار وأنا أتكلم ونظرت لزال طعمها المتبقي، وتبددت رائحتها، وتبدل لونها، وفقدت شكلها وأزداد حجمها، وأصبحت مائعة وحارة، فلو ضربتها ما عادت تحدث صوتا،...إذن ماذا كان في الشمعة مما كنت أفهمه بهذا التميّز"***[2]، ففي هذا الجزء الثاني من التجربة أراد ديكارت أن يثبت لنا أن هذه الخصائص الحسية ليست ثابتة ولا يقينية فإنها زائفة ومخادعة، مثل ما فعل من قبل في الذات العارفة عندما عرّض أفكاره ومعارفه للشك فقد زالت جميع المعارف التي كانت عن طريق الحواس وما بقي في الذات العارفة إلى الوجود المفكر وأيضا مثال الشمعة فإنه كل شيء زال وتلاشى وما بقي إلاّ امتداد الشمعة لأنها امتدت بالحرارة وفقدت جميع خصائصها إذن من نظرية الكوجيتو التي طبّقها ديكارت على مثال الشمعة فإنّه يبين لنا أن الحواس لا تستطيع أن توصلنا إلى الحقيقة واليقين وهي

1 – نقلا عن مجلة دراسات فلسفية، المرجع السابق، ص 157.

2 – المرجع نفسه، ص 157.

خادعة وغامضة ووهمية، وأن اليقين والحقيقة والمعرفة نتوصل إليها بالعقل الخالص؛ وعليه فإن المعرفة المحضة الخالصة تكون عقلية بالدرجة الأولى ولا يمكن أن تكون مكتسبة وهذا ما أقرّه ديكارت أي: أنّ المعرفة المرتبطة بالعالم الخارجي لا تكون مكتسبة، بمعنى أن المعرفة لا تكون من خلال الموضوع بل تكون من خلال الفكرة الحاصلة في الذّهن والمتجلية في العقل والتي تتمثل في الأفكار الأولية الفطرية، فحين تكون لدينا فكرة يمكن أن تطبق في الأشياء الخارجية وليس العكس أي: لا يمكن أن نقول أن هناك شيء خارجي ثم نأخذ فكرة عليه؛ ومنه ***ترجع إمكانية بلوغ المعرفة إلى وجود أفكار فطرية في الذهن تأتي في مقدمتها البديهيات، لكن ينبغي أن الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الأفكار وهذه الحقائق ليست جاهزة مكتملة ، بل إنها استعداد للعقل لتقبل هذه المبادئ وهذه المسلمات***[1] أي: أن المعرفة أساسها الأفكار الفطرية الكامنة في العقل والتي تكون تمتاز بالبداهة والوضوح والتي تكون على شكل استعداد وميول لكي يتقبل العقل مبادئ الفكر والمسلمات التي يقوم عليها.

وعليه نجد أن ديكارت يرى أن أساس المعرفة الحقّة والدقيقة هي التي يكون أساسها الأفكار الفطرية؛ ومنه بعدما بدأ ديكارت في الشك للوصول إلى المعرفة أقرّ بأن الأفكار الفطرية هي التي تبني المعرفة اليقينية الدقيقة، أي لولا وجود أفكار فطرية متجلية في العقل لما كانت هناك معرفة، ويتضح ذلك في ***"الأفكار الفطرية لا يخشى منها ضرر لأنها لا تؤدي إلى الخطأ إطلاقا، فهي متصلة بطبيعة العقل اتصالا وثيقا بحيث يستحيل فصلها عنه، فهي جزء ضروري في تكوينه، أو إن شئت فقل هي القوة الفطرية التي بها يفكر العقل"***[2] أي: أن الأفكار الفطرية هي التي تنشئ العقل وتؤسسه، فلولاها لما كان في العقل أفكارا أصلا وما وصلنا إلى المعرفة، فهي متصلة بالعقل بصفة مباشرة وبصفة دقيقة، ويعتبر

1 – نقلا عن محمد جابري عبد الرحمن، **نظرية الأفكار الفطرية في المذهب العقلي والنّقد التجريبي لها عند جون لوك**، (جامعة دمشق كلية الآداب قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، مكتبة الخنساء) ، ص 146.

2 – نقلا عن زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 118.

أيضا أن الأفكار الفطرية هي المفتاح الأول للمعرفة، وأننا لا نستطيع أن نقول لدينا معرفة إلاّ إذا أقررنا بأن لدينا أفكار فطرية في عقلنا، وهذا ما يؤكد ***أن مفتاح هذه المعرفة العقلية الخالصة هو نور الطبيعة أو القدرة الفطرية التي غرسها الله في عقلنا للوصول إلى الحقيقة بواسطة الأفكار الواضحة والمتميزة، وهذه الإدراكات الواضحة والمتميزة لا علاقة لها بإدراكات الحواس، بل هي نوع من الإدراكات العقلية الخالصة التي تتمتع بها حين نتأمل قضايا الرياضيات الأولية والبديهية***[1]

1 – نقلا عن جون كوتنفهام، **العقلانية**، المرجع السابق، ص 51.

المطلب الثاني: مفهوم الأفكار الفطرية عند ديكارت.

تتمثل الأفكار الفطرية عند ديكارت في الأفكار التي توجد في عقل الإنسان منذ ولادته، تلقائية قبلية وليست مكتسبة، مثلا الطفل عند ولادته تولد معه هذه الأفكار في العقل على شكل استعدادات وميولات، ولا يكتسبها من العالم الخارجي بالحواس، ولهذا يعتقد أن الحواس تخدعنا ولا توصلنا إلى الحقيقة واليقين فهو يقرّ بأن الأفكار التي تكون مطابقة ومماثلة للواقع الخارجي أو للأشياء الموجودة في العالم المحيط بنا هي أفكار خاطئة، وعليه يمكن القول بأن الأفكار الصحيحة أو اليقينية والحقيقية هي الأفكار التي تكون بعيدة عن العالم الخارجي والتي تكون في العقل، فهي أفكار تكون مع الإنسان منذ ولادته ويثبت ديكارت دلك في قوله:***حين تبين أن الحواس تخدعنا في كثير من الأشياء غير أني لا أحسب أن ذلك الخطأ قد زال زوالا تاما , لأنّ أحدا لم يبين أنّ اليقين ليس في الحواس بل في الذهن وحده حين يكون لديه مدركات بديهية."*** [1] أي: أنّ ديكارت يعتبر أنّ الأفكار التي يكون مصدرها العالم الخارجي أو الحسي هي أفكار خاطئة ويعتبرها غلط، بل هي أكثر الأغلاط كما قال.

ومنه نتوصل إلى أن ديكارت يعرف الأفكار الفطرية بـ: ***"أنّ الأفكار الفطرية لا يخشى منها ضرر لأنّها لا تؤدي إلى الخطأ إطلاقا فهي متصلة بطبيعة العقل اتصالا وثيقا بحيث يستحيل فصلها عنه فهي جزء ضروري في تكوينه، أو إن شئت فقل هي القوة الفطرية التي بها يفكر العقل."*** [2] إذن فإنّ ديكارت يرى بأنّ الأفكار الفطرية لا توقعنا في الخطأ فهي دائما صحيحة، فيعتبرها هي الأفكار التي تساعد على تكوين العقل، أي هي بمثابة المحرك الأساسي للعقل لأنّها متصلة به مباشر، فهي موجودة معه منذ البداية لذا لا يمكن أن نعتبر هذه الأفكار سلبية، بل هي أفكار إيجابية وصحيحة وموثوق فيها، أو كما يرى أيضا بأنّها هي أساس تفكير العقل، بها يستطيع العقل أن يفكر وأن يعمل بطريقة صحيحة

1 . رينيه ديكارت، **مقال عن المنهج**، المصدر السابق ، ص 25.

2 . نقلا عن زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 116.

ومنظمة. فمثلا نجد أنّ فكرة الله فطرية في العقل فهي لا تحتاج منّا إلى برهان ودليل على ذلك، ولا تحتاج إلى تعلمها واكتسابها فهي موجودة في عقلنا تلقائيا ويدلل ديكارت على ذلك في قوله أيضا: ***"أنّ فكرة الله لا هي اختراع ذهني أو مجرد وهم لأنني عاجز أن أنقص منها شيئا أو أزيد عليها. لا يبقى لي إلا القول بأن هذه الفكرة ولدت ووجدت معي منذ خلقت كما ولدت الفكرة التي لديّ عن نفسي."*** [1]

والمقصود هنا أن ديكارت يقرّ لنا بأن أي فكرة فطرية لدينا تكون بديهية وواضحة، فنصل إلى أن الأفكار الفطرية لديه هي الأفكار التي يكون عليها الطفل وتكون في عقله منذ أن يولد، أي الأفكار التي يكون الطفل مفطور عليها، والمقصود بهذا الأفكار التي جبل عليها الطفل. فديكارت له معنيين للأفكار الفطرية ويتحدد ذلك من خلال مؤلفاته، فنجد أن هذين المعنيين تتجلى في ما يلي:

المعنى الأول: *حيث يتجلى في بعض مؤلفات ديكارت أنّه يقرّ بأنّ الفكرة الفطرية هي عبارة عن الأفكار التي تكون في عقل الطفل* [2] والمقصود بهذا هو أنّ الأفكار التي يزوّد بها الطفل عند ولادته، أو بعبارة أخرى هي الأفكار التي تكون في عقل الطفل منذ ولادته، والتي لها مصدر واحد وأساسي هو الله، فما يميّزها أنّها بديهية وحدسية لذا نجد أنّ هذه الأفكار لا تحتاج منا إلى دليل أو برهان عليها، وكذا لا يمكن أن نشكّ فيها لأنّ الله أودع هذه الأفكار في عقل الإنسان قبل ولادته، وأنّ الله يتميّز بالوضوح واليقينية والبداهة في ذاته، فلهذا تكون الأفكار الفطرية واضحة ويقينية وبديهية لا تحتاج إلى برهنة وتدليل على صحتها، وهذا ما نجده عند ديكارت في برهنته على وجود الله عن طريق الأفكار الفطرية من خلال أنّ هذه الأفكار متميزة بالدقة والوضوح والبداهة، وأنّ عقل الإنسان ناقص أو قاصر، إذن هذه الأفكار تكون صادقة عن عقل مطلق وكامل هو الذي أودع هذه الأفكار في عقل الإنسان وهو العقل الإلهي،

---

[1] . رينيه ديكارت، **تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى**، تر: كمال الحاج، ط4، (بيروت، منشورات عويدات ، 1988)، ص 38.

[2] . نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 92.

فنتوصل إلى أنّ ديكارت أكّد أنّ الأفكار الفطرية بديهية ويقينية وواضحة بذاتها لا تحتاج منّا إلى تدليل أو برهان عليها وهي الأفكار التي توصلنا دائما إلى الحقيقة على عكس الأفكار المكتسبة والتي تكون في العالم الخارجي فيكتسبها الإنسان بالحواس لهذا نجدها تتميّز بالنسبية والشّك وعدم الوضوح والغموض، كما تحتاج إلى برهان ودليل عليها فإذن هي لا توصلنا إلى اليقين والحقيقة المطلقة.

المعنى الثاني: كما وجدنا في بعض مؤلفاته أنّ الفكرة الفطرية لا توجد في عقل الطفل بالفعل، بل أنّها تكون على شكل ميول واستعدادات طبيعية في العقل تتجلى في أفكار يقينية وهذا من أجل الحصول على أفكار حقيقية وصحيحة وليس من أجل الحصول على أفكار مشتقة من الخبرة الحسية المكتسبة، وعليه فإنّ ***الأفكار الفطرية موجودة في عقل الطفل بالقوة لا بالفعل.***[1] فيرى ديكارت أن الأفكار الفطرية طبيعية تكون في النفس المثالية قبل اتصالها بالجسد فتكون النفس عارفة لجميع الحقائق الكلية؛ لكن عندما تتصل بالجسد فإنّها تفقد هذه الخاصية فتصبح نسبية وهذه الأفكار التي فقدتها تصبح عبارة عن ميول واستعدادات، وعند إثارة العالم الخارجي للنفس فإنّها تتذكر المعرفة السابقة لديها، وتكون هذه المعرفة كلية، إذن فالأفكار الفطرية عند ديكارت هي: "***عبارة عن الأفكار الطبيعية التي يجدها في نفسه وتبدو في غاية الوضوح والجلاء كفكرة الله والحركة والامتداد والنفس وكأنّها لوازم للعقل الإنساني، من دون أن يكون العقل مصدرا لها، بل هو حامل لها، وإنّما مصدرها شيء غير ذاته وعقله.***"[2] والمقصود هنا أنّ ديكارت يؤكد لنا أنّ الأفكار الفطرية التي توجد في العقل ليس هو مصدرها الأساسي، بل هو حاملها فقط أي: توجد فيه بالقوة، فنصل إلى مصدرها الأساسي هو الذات الإلهية أو النفس أو العقل الإلهي فمن الضروري أن تكون هذه الأفكار صادقة وواضحة ولا ينتابها الشك، ومنه نصل إلى أن الأفكار الفطرية عقلية محضة بعيدة عن التجربة والحواس، فهو يعتبر أن هذه الأخيرة ماهي إلا صفات ثانوية فهي انفعالات ومنبهات تثير النفس مثل الرائحة، اللون، الطعم.....

1 . نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 93.

2 . نقلا عن حسن محمد مكي العاملي، **مدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات نظرية المعرفة**، المرجع السابق، ص 95.

المطلب الثالث: موقف ديكارت من الأفكار الفطرية.

بعدما تطرقنا إلى مفهوم الأفكار الفطرية عند ديكارت نتوصل إلى أنّه يقرّ بأنّها هي أساس المعرفة ولا يمكن أن نصل إلى المعرفة بدونها، لذا فهو مؤيد لسابقيه من الفلاسفة اللذين أقروا بالأفكار الفطرية أمثال أفلاطون وسقراط وغيرهم؛ وعليه فإنّ نظرة ديكارت للأفكار الفطرية يعتقد أنّها هي أساس الوصول إلى المعرفة الدقيقة واليقينية، والتي يولد الطفل مزود بها؛ وعليه فإنّ ديكارت يقرّ بأنّ الأفكار الفطرية توجد بالنفس قبل اتصالها بالجسد والتي تكون عارفة لجميع الحقائق المطلقة لأنّها كانت متصلة بالنفس الكلية الإلهية، وبعد اتصالها بالبدن أو الجسد فتصبح هذه الحقائق عبارة عن استعدادات وميولات في النفس الإنسانية، وعندما تتعرض لمثيرات ومنبهات خارجية، فإنّها تستعيد أو تدرك ما كانت تعرفه، فلهذا المعرفة أو الأفكار تكون صادقة وواضحة ودقيقة؛ وعليه فإنّ: "**الأفكار الفطرية أو الغريزية ليست مستفادة من الأشياء ولا مركبة من الإرادة ولكن النفس تستنبطها من ذاتها وتمتاز هذه الأفكار بأنّها واضحة جلية بسيطة أولية وهي التي تؤلف الحياة العقلية بمعناها الصحيح كفكرة الله، النفس، الامتداد وأشكاله والحركة وأنواعها والعدد والزّمان وغيرها.**"[1] أي: أنّ ديكارت يرى أنّ الأفكار الفطرية بديهية وصحيحة ويقينية وليست محل للشك لأنّها غير مكتسبة بالتعلّم ومستقلة عن العالم الخارجي، بل هي توجد في العقل مباشرة بالقوة أي: أنّ هده الأفكار ليست نابعة من العقل فهو ليس مصدرها الأساسي؛ لكن وجدت فيه بالقوة الإلهية، بمعنى أنّ الله هو الذّي أرسخها فيه فيقول ديكارت في ذلك: "**إنّها ليست مرتسمة في العقل كأبيات الشعر في الديوان ولكنّها فيه بالقوة كالأشكال في الشمع، وإنّها في عقل الطفل على نحو ماهي في عقل الرّاشد حين لا يفكّر فيها.**"[2] ففي منظور ديكارت أنّ الأفكار الفطرية

[1] . نقلا عن يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، المرجع السابق، ص 72.

[2] . المرجع نفسه، ص 72.

عند الطفل كما هي عند الرّاشد، لكن تكون مكنونة في العقل ولا تظهر إلا عند حدوث مثيرات من الخارج، وعند إدراكه للأشياء فإنّها تظهر هذه الأفكار.

كما أنّ ديكارت هاجم أصحاب المذهب التجريبي الذين يرو أنّ أساس المعرفة الحواس والتجربة ويعتمدون على العالم الخارجي فإنّه يرى أنّ الحواس والأفكار المكتسبة هي دائما تخدعنا وتتميّز بالغموض والتشتت، وغير يقينية فهي ظنية قابلة للشك فهو يرفضها لأنّها صادرة عن الإنسان والإنسان يتميّز بالنقص فلهذا فإنّ هذه الأفكار تكون ناقصة ونسبية وهذا ما يجعله متمسكا بأنّ الأفكار الفطرية هي أساس المعرفة اليقينية الصحيحة لأنّها صادرة عن عقل كامل كلي(العقل الإلهي) الذي يتميّز بالمعرفة الكلية التي لا يمكن الشكّ فيها. فإن أشككنا فيها فإننا نشك في الله وهذا لا يعقل، والذي جعل ديكارت منها يتوصل إلى الأدلة والبراهين على وجود الله وهذا من خلال القول: ***"بأنّ المعرفة الكلية والأزلية موجودة في حقائق أزلية فطرية منذ الأبد يبلغ الإنسان عن طريقها اليقين الكامل في العلوم والرّياضة."***[1] كما توصل ديكارت إلى إثبات أنّ الأفكار الفطرية هي أساس المعرفة التي توصلنا إلى الحقيقة واليقين وأنّها كاملة وصاحبها هو العقل الإلهي ***وأنّ المعارف فطرية في الذّهن وخلق الإله الأزلي لها إنّما يعطي لأفكار العقل مفتاح الصدق واليقين.***[2]

كما أنّه يرى أنّنا كلّما اتجهنا نحو البساطة والوضوح واعتمدنا في معرفتنا على الأفكار الفطرية النّابعة من النور الإلهي فحتما توصلنا إلى الحقيقة اليقينية التي لا نستطيع أن نشكّ فيها، وأنّ هذه الأفكار هي الأفكار التي أودعها الله في النفس وهي دائما تكون أفكار أولية نافعة، أمّا إذا اعتمدنا على الأفكار المكتسبة فلن توصلنا إلى الحقيقة واليقين، بل هي حقيقة نسبية وظنية لأنّها تتميّز بالغموض والتعقيد فيقول ***أنّ النفس تشتمل على شيء إلهي أودعت فيه البذور الأولى للأفكار النافعة، وإذا أثقلت***

[1] . نقلا عن راوية عبد المنعم عباس، **مالبرانش أو الفلسفة الإلهية**، المرجع السابق، ص 173.
[2] . المرجع نفسه، ص 173.

هذه البذور بالدروس المعقّدة لم يجن منّها إلا ثمرات غثة لا يرجى منها نفع دائم أو خير مقيم.[1] ويقول أيضا في موضع آخر: ***"في حين أنّه لا يستطيع خيالنا ولا حواسنا أن تجعلنا نتأكّد من شيء إذا لم يتوسط عقلنا في ذلك."***[2]

وعليه نصل إلى أنّ ديكارت يقرّ بالأفكار الفطرية لأنّها أفكار حقيقية صحيحة توصلنا إلى اليقين والمعرفة الدقيقة واليقينية، كما نجد أنّه يرفض الأفكار المكتسبة، ***والغير واضحة فيعتقد أنّ فكرة الله موجودة، هي فكرة أولية فطرية تعادل في البداهة الواضحة المتميّزة المسألة الرياضية القائلة: "مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين". بينما يرى في البداهة الحسية عدم الثبات والاستقرار. فهي دائمة التغيّر والتحول كما وكيفا لأنّها وليدة الجسم، والجسم خاضع للتغيّر باستمرار.***[3]

1 – رينيه ديكارت، **مقال عن المنهج**، المصدر السابق، ص 191.

2 – المصدر نفسه، ص 229.

3 – نقلا عن محمد جابري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 148.

الفصل الثالث:
موقف جون لوك من العقليين عموما

المبحث الأول: حياة جون لوك ومؤلفاته.

المطلب الأول: حياة جون لوك.

ولد جون لوك عام 1632 في مدينة زنجتون بالقرب من برستول في انجلترا، ثم رحل إلى فرنسا سنة 1672 وأقام فيها حتى عام 1679، ولما عاد إلى إنجلترا كان موضع ريبة من عائلة ستيوارت الحاكمة فالتجأ إلى هولندا وظل بها إلى عام 1688 وفي ذلك العام عيّنه غليوم وورانج معتمدا للملكة للتجارة والمستعمرات[1].

هو أحد كبار ممثلي النزعة التجريبية الإنجليزية، جاء بعد هوبز وبيكون وكان أعمق منهما في توضيح المذهب الحسي والدفاع عنه، فاستحق أن يدعى زعيمه في العصر الحديث ولئن كانت النزعة التجريبية الخاصة بإنجلترا ظاهرة في تفكيرها منذ العصر الوسيط، فمن الحق أن يذكر أن لإنجلترا نزعة روحية أفلاطونية اتصلت منذ العصر الوسيط كذلك ووجدت لها ملجأ في منتصف القرن بجامعة كمبردج، بينما كانت جامعة أكسفورد تحافظ على المدرسة الأرسطوطالية، ومن ممثلي هذه الأفلاطونية اللورد بروك الذي سقط قتيلا في الخامسة والثلاثين (1643) وهو يناضل في سبيل البرلمان، وهو يذهب في كتابه "ماهية الحقيقة" 1641 إلى أن التجربة لا توفر لنا المعرفة الحقّة وأن العقل حاصل منذ الأصل على المعاني العليا الضرورية للعلم والأخلاق.

كان أبوه محاميا خاص غمار الحرب الأهلية دفاعا عن البرلمان، فنشأ الابن على حب الحرية وظل متعلقا بها إلى آخر حياته، دخل أول أمره في مدرسة وستمنستر ومكث بها ست سنين يتلقى اللغات القديمة، وإذا لم يكن يشتمل البرنامج على العلوم الطبيعية إلا قليلا من الجغرافيا، ولما بلغ العشرين دخل أكسفورد وقضى بها ست سنين يتابع الدراسات المؤدية إلى الكهنوت، ولكنه لم يتذوق الفلسفة المدرسية،

[1] – جون لوك، **الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجون جاك روسو**، تر: محمود شوقي الكيال، (مطابع شركة الإعلانات الشرقية)، ص 05.

ولم يهتم بالفلسفة إلاّ حين قرأ ديكارت وجاسندي وبذا له أن الوجهة الأخلاقية من الذين أجدر بالعناية من الوجهة الإعتقادية، فولّى وجهة شطر الطب ودرسه دون أن يتقدم للدكتوراه، وفي 1666 اتصل باللورد أشلي الذي صار فيما بعد كونت شفتسبري ومن أعظم السياسيين في عصره، فكان كاتبه وطبيبه مدة ثلاث سنين، في ذلك الوقت نشر رسالة صغيرة " في التشريح " 1668 وانتخب عضوا بالجمعية الملكية ثم نشر رسالة أخرى "في الفن الطبي" 1669 حيث يعلن أن النظريات العامة تقف سير العلم، وأن لا فائدة إلاّ في فرض الجزئي الموجه إلى إدراك العلل الجزئية فيبين بذلك عن اتجاهه التجريبي.

أما الفلسفة فقد اتجه إليها في فكره في شتاء 1670-1671 على اثر مناقشات مع بعض أصدقائه لم يوفقوا فيها إلى حل المسائل التي أثاروها، ففطن إلى أنه يمتنع إقامة "مبادئ الأخلاق والدين المنزل إلاّ بعد الفحص عن كفايتنا والنظر في أي الأمور هو في متناولها وأيّها يفوق إدراكنا"، وهكذا نبتت عنده فكرة البحث في المعرفة فوضع لفوره رسالة "في العقل الإنساني" يرجع فيها معانينا جميعا إلى معان بسيطة مستفادة من التجربة، ثم عكف على الموضوع يخصص له أوقات فراغه مدة تسع عشرة سنة حتى أتمّ كتابه الشهير "مقالة في الفهم الإنساني" 1690 والكتاب مقسم إلى أربع مقالات: الأولى في الرد على نظرية المعاني الغريزية، والثانية في تقسيم المعاني بسيطة ومركبة وبيان أصلها التجريبي، والمقالة الثالثة في اللغة ووجوه دلالة الألفاظ على المعاني وتأثير اللغة على الفكر، ومعارضة الفلسفة المدرسية باعتبارها فلسفة لفظية، وإبطال حقيقة معاني الأنواع والأجناس، والمقالة الرابعة والأخيرة في المعرفة أي في اليقين الميسور لنا[1] وفي منفاه كتب لوك "رسالة في التسامح" بالتحريض من صديقة شافتسبري، حررها باللاتينية ونشرها خلوا من اسمه في عام 1689. وكان يقصد التسامح الديني بمعنى(إنه ليس من حق أحد أن يقتحم باسم الدين الحقوق المدنية الأمور الدنيوية)، ولهدا فإن "فن الحكم ينبغي ألاّ يحمل في طياته أية معرفة عن الدين الحق" مات في أكساس عام 1704.[2]

1 – نقلا عن يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، كلمات للترجمة والنشر، المرجع السابق، ص 145 – 147.

2 – جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنه، ط1، (الإسكندرية، المجلس الأعلى للثقافة، 1997)، ص 07.

المطلب الثاني: أهم مؤلفات جون لوك.

من أهم المؤلفات التي تركها جون لوك تتمثل في التالي:

1/ مقالة في العقل البشري (الإنساني) 1671.

2/ مقالة تتعلق بالأصل الحقيقي واستمرار ونهاية الحكومة الأهلية.

3/ بعض الأفكار عن التربية 1693-1695.

4/ كيف يعمل العقل.

5/ روح التسامح 1692: ظهرت باللغة اللاتينية وترجمت عام 1689، ونشرت رسالة ثانية في التسامح عام 1690، ثم ثالثة عام 1692.

6/ معقولية النصرانية 1695: وله في ذلك دفاعان عن رأيه، ظهر الأول عام 1695، بينما ظهر الثاني في عام 1697.

7/ رسالتان عن الحكومة 1690 (1694).

وتضم موضوعات سياسية وثورية دفعته لكتابتها الأحوال السياسية وخبرته في العمل السياسي.

8/ تاريخ البحث.

9/ بعض الاعتبارات لنتائج انخفاض الاهتمام ورفع قيمة المال.

10/ دراسة لرأي مالبرانش في رؤية الأشياء في الله 1706.

11/ بحث في المعجزات 1706.

12/ ذكريات تتعلق بحياة شافتسبرى 1706.

13/ الآثار الباقية من جون لوك 1714.[1]

[1] – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، المرجع السابق، ص 255 – 256.

المبحث الثاني: رأي جون لوك في الأفكار الفطرية عند ديكارت.

المطلب الأول: المعرفة عند جون لوك.

يقوم المذهب التجريبي في المعرفة على أساس التجربة، باعتبارها المصدر النهائي لكل معرفة، وأن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة، فليس في العقل شيء لم يمر بالحس أولا، وينكر التجريبيون أن يولد العقل مزود بأفكار فطرية وقد اهتم التجريبيون بالعلوم الطبيعية التي تعتمد على التجربة، وأنكروا قدرة العقل على أن يضمن لنا صدق القضايا التركيبية التي تخبرنا عن طبيعة العالم، وقد نشأ المذهب التجريبي الحديث بوصفه رد فعل للمذهب العقلي، والذي يضم مجموعة من الفلاسفة من بينهم: جون لوك، دافيد هيوم، بركلي، ...الخ، والذي يهمنا في هذه الدراسة جون لوك.

إن أنصار المذهب العقلي أمثال ديكارت أرجعوا المعرفة إلى العقل، وأنها تبدأ بالأفكار الفطرية التي يولد الطفل مزود بها وأن التجربة والحواس لا مجال لها في المعرفة اليقينية؛ لكن جون لوك جاء معرضا لهذا فكان لتساؤله كيف تنشأ المعرفة؟ وما هو المصدر الأساسي للمعرفة الذي يبين لنا وجود الأفكار والتصورات التي وجدت في أذهاننا ؟

فقد أعلن الفيلسوف الإنجليزي جون لوك بكل وثوق، أن المعرفة تأتينا عن طريق التجربة والحواس، وأن كل شيء وكل فكرة أو تصور في العقل هو من التجربة أو الحواس، وأن العقل يكون خاليا من كل شيء عند ولادة الإنسان فيقول: ***"العقل صفحة بيضاء خالية من كل فكرة"***[1] إذا أراد لوك أن يؤكد لنا بأن الإنسان عند ولادته يكون خاليا من كل فكرة فشبهه بالصفحة البيضاء، وأن الحواس والتجربة هي التي تبدأ بكتابة ما تشاء في عقولنا فإن هذه الحواس تولّد في العقل أفكار، وهذه الأفكار التي وجدت في العقل تولد الذاكرة، فيصبح في العقل ذاكرة توجد بها أفكار، وهذه الأفكار تولّد آراء تعتبر الأشياء المادية هي التي

[1]-Extrait de François ribe et les autres, **dictionnaire de philosophie**, (paris, Armand coli éditeur, 1995), p 316

تؤثر على حواسنا والذي نتعرّف عليه هو العالم الخارجي أو المادي، فإن أفكارنا تولد بواسطة وسيلة الحاسة، فمن هذا نستنتج أن: الحواس تنقل لنا الأفكار والآراء إلى العقل من العالم المادي، والذي يعتبر هو المصدر الأساسي للمعرفة؛ وعليه يمكن أن نقول أن المصدر الأول للأفكار والمعارف هو موضوعات الحس، والذي يعتمد اعتمادا كليا على حواسنا، فتكون المعرفة بالحواس مباشرة فتترك انطباع في الذهن، مثلا عند لمس الماء الساخن أو رؤية اللوحة التي رسمها الفنان فإنه يتولد لنا انطباع في الذهن مباشرة، وهذا ما نسميه الإحساس.

أما المصدر الثاني الذي يزود عقولنا بالأفكار هو الإدراك للعمليات التي تقوم أو تحدث لنا داخل العقل، وهذه العمليات تقوم بها النفس في الوقت الذي تكون تفكر وتتأمل في الأفكار التي تكونت وانطبعت في العقل أو الذهن بواسطة الحواس، والتي يسميها جون لوك بالتفكير أو التأمل الذاتي.

كما أنه قد قسم الأفكار إلى قسمين هما: أفكار حسية، وأفكار استبطانية.

القسم الأول: وهي الأفكار التي تنتج عن المصدر الأول، هي الأفكار الحسية لأنها ناتجة عن الحواس بطريقة مباشرة: ***"أفكار الإحساسات، تلك الآثار التي تنطبع في عقولنا نتيجة تأثير الأشياء الخارجية المادية على حواسنا."***[1] يبين لنا جون لوك من خلال هذا القول أن المعرفة المباشرة التي تنتج عن الحواس هي أفكار حسية مثل الرائحة، الحجم، اللون، الشكل،...الخ، ويسميها أيضا بالأفكار البسيطة، لأنها واضحة ومميزة وبسيطة، لا تحتاج إلى عملية طويلة أو مدة طويلة كي تدرك، فهي تدرك مباشرة في العقل. مثلا نحن نرى في العالم الخارجي أو الواقع الذي نعيشه نوافذ، مقاعد، أشخاص، أشجار، حيوانات،...الخ، فكل هؤلاء الأشياء نلاحظها بحواسنا، فالعين مثلا بواسطة ضوء ما ترى الأشياء، وبواسطة اللمس يشعر الجسم بالبرودة والسخونة، وبواسطة الذوق يشعر الفم بالطعم، إدا عندما يحدث هذا الشعور للجسم والفم، ورؤية العين للأشياء بالتأثير على حواسنا، فينتقل هذا التأثير إلى مراكز الإحساسات

[1] – نقلا عن إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق، ص 262.

التي توجد في المخ، فتنتج أفكار في عقولنا، وهذه الأفكار مستمدة من الصفات الحسية التي توجد في العالم الخارجي مثل الرائحة والطعم والشكل والحرارة.

أمّا القسم الثاني للأفكار يتمثل في الأفكار الاستبطانية، وهي الأفكار التي لا تدرك مباشرة في العقل عندما تنقلها الحواس، بل هي تحتاج إلى عملية إدراكية طويلة في العقل، وتحتاج إلى مدة كي تدرك ***"أفكار الاستبطان، يقصد به أنه حينما تدرك الأشياء المادية أو تتذكرها أو تتخيلها، تقوم بهذه العمليات."*** هنا يبين لنا جون لوك أن النوع الثاني من الأفكار يكون معقد ومركب لا يدرك بطريقة مباشرة، لأنه غير بسيط وغير واضح، فلهذا يأخذ وقتا لكي يدركه العقل لأنه يقوم بعمليات عقلية مثل التخيل والتذكر والإدراك الخ، كما يسمي أيضا هذا النوع من الأفكار بالمركبة، لأنها تتميز بالتعقيد وعدم الوضوح، ومركبة بعكس الأفكار البسيطة فهي تحتاج إلى التعليل والتحليل والتبسيط كي يدركها العقل ***"الأفكار المركبة هي نتيجة قيام العقل بعملياته الفكرية المختلفة من تذكر، وتصور، ومقارنة، وتخيل، وتجريد."*** [1] منا يبين لنا جون لوك أن الأفكار المركبة تدرك في العقل عندما يقوم بالعمليات المختلفة والتي تتمثل في التذكر والتخيّل والمقارنة والتصور والتجريد، هذه العمليات تعتمد على الأفكار البسيطة الناتجة عن المصدر الأول ومنه يدرك الأفكار المركبة عن طريق الحس، فمثلا عندما نرى تفاحة حمراء أو وردة صفراء ونقرّ بأن لونها أصفر ففي هذا القرار الذي إتخدناه نحن نكون قد قمنا في هذا الوقت بعملية التأمل والاستبطان الداخلي في العقل لهذا اللون الأصفر، فيصبح الإدراك الحسي للون الأصفر حصيلة عقلية، والإدراك هو فكرة من أفكار الاستبطان. كما أن للإنسان أفكار كثيرة تتعلق بقدرته على التصور والتخيل وغيرها من القدرات.

1 – المرجع نفسه، ص 262.

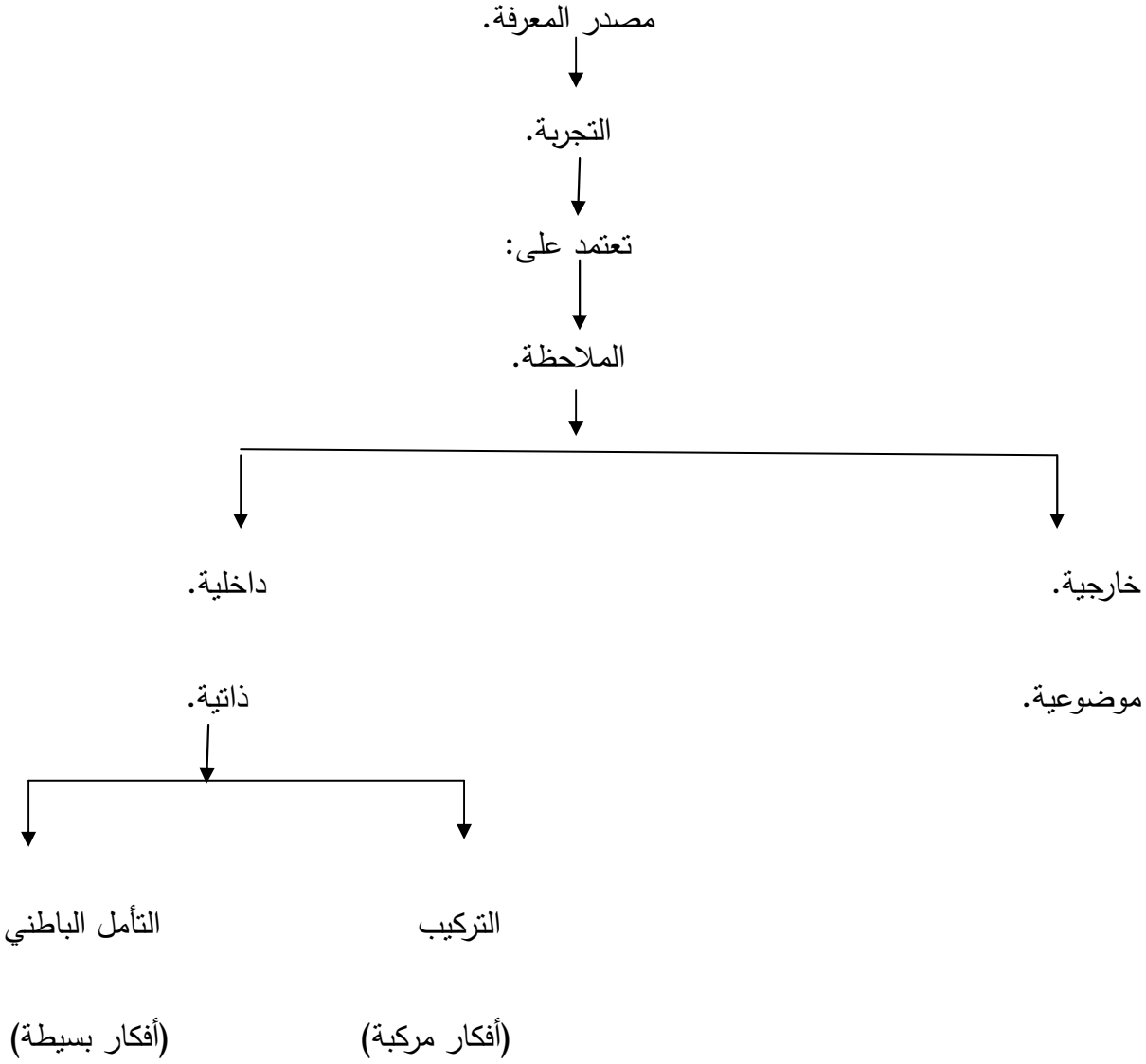

رسم تخطيطي يوضح مصدر المعرفة عند جون لوك[1].

1 – نقلا عن راوية عبد المنعم عباس، **الحس والتجربة في فلسفة جون لوك**، (الإسكندرية، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2012)، ص 42.

المطلب الثاني: نقد جون لوك للأفكار الفطرية الديكارتية.

إن أول نقطة انطلق منها لوك للوصول إلى المعرفة، تتمثل في رفضه لنظرية الأفكار الفطرية التي نادى بها كل من العقليين بصفة عامة، وديكارت بصفة خاصة. فقد تمثل رفض لوك للأفكار الفطرية في نفده لها، من حيث أنه ينكر وجود أفكار فطرية من الأساس، فيقرّ أنه لو كانت هناك أفكار فطرية حقا، لما لجأ الطفل إلى التعلّم واكتساب المعرفة والمعلومات، لأن عقل الطفل عند ولادته يكون صفحة بيضاء، ولا يحتوي على أي فكرة، ومن خلال التعلّم والتجربة يكتسب أفكار مختلفة ويقينية، ومنه فإن لوك يرفض أي فكرة فطرية، ولا يقرّ بها، وهذا من خلال دحضه وتفنيده لنظرية الأفكار الفطرية المتداولة بين الفلاسفة العقليين, حيث اعتمد في رفضه لهذه الأفكار على مجموعة من الحجج والتي تتمثل في حجة الإجماع والحجة العلمية وحجة استخدام العقل، فنجد أن لوك يرفض هذه الأفكار ***بأسلوب علمي دقيق فأكّد أن عقل الإنسان ليس فيه أفكار من هذا النوع، فلو كانت موجودة فيه لكان محل إجماع الناس، بما فيهم الأطفال والبلهاء والقبائل المتوحشة، ولكن الواقع يشير إلى عكس ذلك.***[1] أي: أن لوك فسّر رفضه للأفكار الفطرية بأسلوب علمي، حيث أكد لنا لو كان هناك أفكار فطرية فعلا لكان جميع الناس لديهم أفكار مشتركة أي: أنّ جميع الناس يحملون نفس الفكرة حتى المجنون، والطفل الصغير، والقبائل المتوحشة، –كما ذكر– نجد أن لهم أفكار مشتركة فيما بينهم؛ لكن نجد أن هذا العالم المحيط بنا هو الذي يقدم لنا المعرفة، والتي من خلاله نستطيع أن نكتسب المعرفة، فإن جون لوك يؤكد بأن الأفكار الموجودة في العقل ماهي إلاّ نتيجة لما نتعلمه ونكتسبه من العالم الخارجي عن طريق الحواس، وليه فإن الحواس هي مصدر المعرفة وليس العقل، وأن المعرفة الحقّة تكون عن طريق التجربة، والتي اعتبرها لوك هي مصدر المعرفة والأساس الذي تبنى عليه المعرفة الصحيحة، فيقول لوك في هذا الصدد: ***"التجربة هي***

[1] – نقلا عن **مجلة آداب الفراهيدي**، أحمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند لوك، (العدد 05، جامعة كركوك/ كلية التمريض، كانون الأول 2010)، ص 213.

المصدر الوحيد للمعرفة، وأن العقل لحظة ولادته صفحة بيضاء وليس فيه أيّة معلومات، فكل ما لدينا من أفكار مصدرها التجربة وليس كما يذهب أصحاب المذهب العقلي بأن العقل مزود بأفكار فطرية." [1]

أي: أن التجربة هي الأساس أو طريق الوصول إلى المعرفة التي يستطيع الطفل من خلالها أن يكتسب المعلومات الدقيقة والصحيحة، وهذا ما يؤكده حين يقر بأن العقل صفحة بيضاء، أي أن العقل لا توجد فيه أفكار ومن خلال التجربة يستطيع العقل أن يولّد أفكار داخله، وهذا ما جعله يرفض الأفكار الفطرية، فمثلا لو كان هناك أفكار فطرية حقا لما التجأ الطفل في أول مراحل حياته إلى التعلّم فالطفل حينما يولد لا يدرك أي شيء؛ لكن من خلال المجتمع المحيط به يستطيع أن يكتسب اللغة والنطق، وكذلك الطفل الصغير لا يستطيع أن يتذكر يوم ميلاده إلا إذا استطاع المجتمع أن يعلمه ذلك، وهذه كلّها تؤكد لنا أن الطفل يكتسب المعرفة والمعلومات والأفكار عن طريق الحواس بما يحيط به من أشياء خارجية؛ والآن سوف نتطرق إلى الحجج التي اعتمدها لوك في نقده للأفكار الفطرية وهي كالتالي:

1/ حجة الإجماع أو الاتفاق: حيث نجد أن هذه الحجة التي اعتمد عليها لوك في رفضه للأفكار الفطرية تتمثل في أنه لو كانت هناك أفكار فطرية حقا لكان كل الناس يشتركون في أفكارهم، ولكانت الفكرة الواحدة عند الجميع بنفس الطريقة، ويتفق الجميع عليها، ويتمثل ذلك في قول: ***"ليس هناك شيء مسلّم به أكثر من القول بوجود مبادئ معينة، نظرية وعملية، متفق عليها بين جميع أفراد الناس."*** [2]

أي: أن الشيء المسلّم به هنا واحد عند الجميع، والمقصود بذلك أن هناك مبادئ يتفق عليها الناس جميعا ويقرّون بها، حيث تكون هذه المبادئ عملية ونظرية؛ لكن نجد أن جون لوك يرفض هذه الحجة لأنه لا يقر بوجود أفكار مشتركة بين الجميع، فالأفكار تختلف لأن الحواس هي مصدرها، وهذه الإحساسات

1 – المرجع نفسه، ص 213.

2 - J Locke , **essai philosophique concernant l'entendement humain**, (paris , trac. Mcost, j.vrain, 1972), p 07.

تختلف في إدراكها من شخص لآخر، فيؤكد لنا لو أن هناك فعلا أفكار مشتركة بين جميع الناس لكان المجنون والطفل والمتوحش لهم نفس الأفكار، أي لهم أفكار مشتركة فيما بينهم.

لكن لو نعود إلى الواقع نجد أن الطفل يكتسب أفكار من خلال المجتمع المحيط به، وكذلك المجنون فإنّه يحمل أفكار ممن حوله، المحيطين به، أمّا المتوحش فإنّه يكتسب أفكار تتماشى مع طبيعته أي: مع طبيعة المجتمع الذي نشأ فيه فيقول لوك في رفضه لهذه الحجة: ***"كون أن الاتفاق يشمل كل أفراد المجتمع، في حين نجد مثلا أن مبدأ عدم التناقض لا يحظى بالموافقة الاجتماعية، لأنه ليس معروف لدى عدد كبير من الأفراد، وخاصة الأطفال والمجانين."***[1] أي: أن لوك يؤكد بأن هناك أفكار يستحيل أن تكون محل اتفاق بين الناس، مثل مبدأ عدم التناقض فإنه لا يمكن أن يكون محل إجماع واتفاق بين الأفراد أي: لا يمكن أن يكون للناس فكرة مشتركة عليه، لأنه يوجد من يجهل هذا المبدأ، فنجد مثلا الأطفال والمجانين ليس لديهم أدنى فكرة عليه.

2/ حجة استخدام العقل: تتمثل هذه الحجة في أنّ العقل توجد فيه أفكار فطرية قبلية، والتي أودعها الله في عقل الطفل منذ ولادته؛ لكن لوك يرفض هذه الحجة، لأنه يرفض وجود أفكار فطرية أصلا، وعليه فإن لوك يقر بأن العقل يولد صفحة بيضاء ويكتسب أفكاره من خلال التعلّم، فيقول: ***"إن هذه الحجة ما هي إلّا تأكيده على خطأ دعاة الأفكار الفطرية، عندما يقول لو أن العقل مكتشف لتلك المبادئ الموجودة فيه."***[2] أي: أن لوك يرفض هذه الحجة من خلال الإقرار بوجود أفكار فطرية، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه أنصار هذا القول؛ وعليه فإن لوك يهاجم كل من يقول بهذه الحجة لأن العقل لا توجد فيه أي أفكار، بل الإنسان هو الذي يولّد تلك الأفكار عن طريق الاكتساب والتعلّم.

---

[1] – نقلا عن عزمي إسلام، **جون لوك**، (مصر، دار المعارف، 1964)، ص 39.

[2] – نقلا عن راوية عبد المنعم، **جون لوك إمام الفلسفة التجريبية**، (بيروت، دار النهضة العربية، 1996)، ص 54.

3/ الحجة العلمية: وهي الحجة التي تشمل آراء وأفكار علمية دقيقة، وهذا من خلال ما يؤكده لوك في قوله أنه لا توجد أفكار فطرية في العقل، بل كل الأفكار الموجودة في العقل هي أفكار مكتسبة وهذا يتمثل في فلسفة لوك ***حينما تأثر هذا الأخير بالمنهج العلمي آنذاك في عصره، حيث حاول أن يطبق المنهج الاستقرائي في الفلسفة بصفة عامة، وفي نظرية المعرفة بصفة خاصة.***[1] وعليه فإن لوك استطاع أن يرفض نظرية الأفكار الفطرية من خلال الحجة العلمية، فمثلا لو نأخذ فكرة عبادة الله فنجد أن هذه الحجة تؤكد على أن هذه الفكرة فكرة فطرية، ولوك يرفضها فيقول لو كانت فكرة عبادة الله فكرة فطرية لكان الجميع يدركها حيث نجد هناك اختلاف بين الأمم في فكرة عبادة الله، فنجد أن الناس يختلفون في بينهم، فلو كانت هذه الفكرة فطرية لكان كل الناس يقرّون بها، ويدركونها بنفس الطريقة، ويتمثل ذلك في قول لوك: "**الحجة العلمية هي تأكيد على أن فكرة عبادة الله فكرة فطرية، بل هناك كثير من الأفراد و الأمم لم تدرك ولم تصل إلى فكرة الله، بل حتى بين هؤلاء اللذين يدرونها نجد هناك اختلاف في طبيعة هذه الفكرة.**"[2] من خلال هذا القول نتوصل إلى أن لوك يرفض الأفكار الفطرية بصفة عامة، ويرفض من يقرّ بها ويقول: أن الأفكار مكتسبة، فنقد لوك العقليين بصفة عامة، وديكارت بصفة خاصة، ويتمثل في نقده لنظرية الأفكار والمقرّين بها، وخاصة فلاسفة القرن السابع عشر، وبالأخص ديكارت، فيقول أنّ الأفكار ماهي إلاّ نتيجة التجربة والحواس أي: أن المعارف والأفكار مكتسبة من الواقع الخارجي، وليست فطرية في العقل ويتجلى ذلك في قوله: "***لذلك فالناس تستطيع أن تكتسب المعارف باستخدام قدرتها الطبيعية، بدون حاجة إلى هذه المبادئ الأولية والقوانين الأساسية لكي تتم معرفته بالعالم.***"[3] أي: أن اكتساب المعرفة والمعلومات يكون من خلال العالم الخارجي، أو الموضوعي، بحيث

[1] – نقلا عن **مجلة آداب الفراهيدي**، المرجع السابق، ص 213.

[2] – نقلا عن راوية عبد المنعم، المرجع السابق، ص 56.

[3] – نقلا عن راوية عبد المنعم عباس، **الحس والتجربة في فلسفة جون لوك**، المرجع السابق، ص 28 – 49.

يكون عن طريق القدرات الطبيعية، ولا يمكن أن تكون هناك أفكار فطرية قبلية، وهذا كلّه من أجل الوصول إلى المعرفة الدقيقة والصحيحة. ويتجلى ذلك في قوله: "***لا يكون في العقل شيء إلّا أن يسبق في الحس.***"[1] والمقصود بهذا أنه يستحيل أن يكون هناك أفكار عقلية محضة، بل أنّ جميع الأفكار ماهي إلاّ من التجربة، أي: أنها مكتسبة من التجربة والحواس، وعليه فإنّ لوك يرفض الأفكار الفطرية رفضا مطلقا، ويقرّ بالتجربة والحواس، فهو يبنى معرفته على الأساس التجريبي الحسي، ففلسفته حسية بالدرجة الأولى وهذا في قوله: "***لكي نحصل على فكرة صحيحة عن الأشياء يجب أن نسوق الذّهن إلى طبيعتها الثابتة وإلى علاقاتها الدائمة التي لا تتغيّر، لا أن نجهد لنأتي بالأشياء إلى أحكامنا المسبقة.***"[2] والمقصود بهذا أن أساس الحصول على الأفكار الصحيحة واليقينية يجب الرجوع إلى الموضوع الخارجي أولا لكي نكتسب منه معرفة أو فكرة في الذهن على ذلك الشيء، ولا يمكن أن نرجعها إلى الأفكار السابقة، فمثلا الطفل في مراحله الأولى من حياته فإنه يكتسب المعارف من خلال العالم المحيط به، فيلجأ إلى التعلّم أولا لكي تكون لديه أفكار صحيحة، فهو لا يستطيع أن يتعلّم الأرقام إلاّ إذا جسدت في الواقع، فمثلا عندما نريد أن نعلّمه الرقم 1 فإننا نلجأ إلى الأشياء لكي نبيّن له معنى الرقم 1، فنأخذ قلم فنقول له هذا قلم واحد، أو لوحة فنقول له هذه لوحة واحدة، ونفس الشيء بالنسبة للأشياء الأخرى، وأيضا عندما يرى الطفل شمعة مشتعلة فإنّه لا يدرك أنّها سوف تؤدي به إلى الضرر إلاّ إذا لمسها، فإن الطفل من خلال تجربته عند لمس الشمعة وهي مشتعلة فإنّه سوف يحترق، فمن خلال هذا يدرك أنّه لو رأى أي شيء مشتعل فإنّه يدرك بأنه يحرق، وحينها لا يقترب منه، وعلى هذا الأساس نجد أنّ لوك يرجع جميع المعارف إلى أساسها الأولي والمتمثل في التجربة والحواس.

---

[1] – نقلا عن إميل برهييه، **تاريخ الفلسفة**، المرجع السابق، ص 330.

[2] – المرجع نفسه، ص 330 – 331.

نتائج البحث:

ومن أهم النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسة تتمثل في ما يلي:

- المعرفة عند الفلاسفة العقليين مصدرها الأساسي العقل وليست الحواس والتجربة.
- الأفكار الفطرية أساس المعرفة العقلية، والتي تولد مع ولادة الإنسان.

تأثّر ديكارت بالفلاسفة اليونان أمثال سقراط، أفلاطون، وفلاسفة العصر الوسيط أمثال أوغسطين، أنسلم في أنّ أساس المعرفة الأفكار الفطرية.

- تكون المعرفة عند سقراط كامنة في العقل، ولا تأتي من خارج العقل.
- يرى أفلاطون أن المعرفة عند الإنسان قبلية فطرية، ولا تأتي من العالم الخارجي.
- الأفكار الفطرية عند ديكارت هي معرفة قبلية توجد في عقل الإنسان قبل ولادته.
- تتميّز الأفكار الفطرية عند ديكارت بالبداهة والوضوح والدّقة واليقين، ولا مجال للشك فيها، لأنّها عقلية محضة.
- ديكارت يرفض أي معرفة خارجة عن نطاق العقل، وأن المعرفة المكتسبة غير يقينية وقابلة للشك.
- الأفكار الفطرية توصلنا للمعرفة الحقة، كما أن المعرفة تتضمن في الأفكار الفطرية، أي كل منهما يخدم الآخر.
- التجربة والحواس هي أساس المعرفة في المذهب التجريبي.
- المعرفة عند جون لوك لها مصدرين هما: المصدر الأوّل وهو المصدر الأساسي الذي يتمثل في أفكار الإحساسات، وهذه الأفكار تكون بسيطة وواضحة ومباشرة، التي تتمثل في أفكار الحواس، أما المصدر الثاني يتمثل في التأمل الباطني وهو الإدراك الذي يكون داخل العقل، والذي يعتمد على أفكار المصدر الأوّل.
- اعتمد جون لوك في نقده للأفكار الفطرية الديكارتية على ثلاث حجج تتمثل في ما يلي: حجة الإجماع (الاتفاق)، حجة استخدام العقل، والحجة العلمية.

الخاتمة

الخاتمة:

نصل من خلال هذه الدراسة إلى الأهمية التي توصل إليها الفلاسفة العقليين بصفة عامة، حيث اهتموا بالأفكار الفطرية وأقروا بوجودها، وابتعدوا عن الأفكار الخارجية التي تأتينا عن طريق الحواس من خلال التجربة؛ فنجد أن سقراط يقر بأن الأفكار الفطرية هي أساس المعرفة وهي الأفكار الصحيحة التي تكون في عقلنا واعتبر أن المعلم مجرد مثير خارجي بفضله نستطيع أن ندرك معارفنا السابقة فقط، وليس هو مصدر المعلومة أو المعرفة، أما أفلاطون فقد أقر بأن جميع المعارف الكامنة في العقل هي معارف قبلية من خلال الأفكار الفطرية لأنها صحيحة ويقينية، بديهية وواضحة لا تحتاج إلى التدليل والبرهنة عليها، ولا تكون محلا للشك، وهذا ما ذهب إليه ديكارت الذي أقر لأن في العقل أفكار مسبقة أي أن جميع الأفكار التي تكون في العقل هي أفكار عقلية محض وليست مكتسبة، وعليه فإن ديكارت يرجع أساس المعرفة إلى الأفكار الفطرية، ويعتبر أن أي معرفة تكون من خلالها وأن هذه الأفكار أهم ما يميزها أنها عقلية، واضحة، قبلية، يقينية، بديهية.من خلال هذا نصل إلى أن العقليين عموما وديكارت خصوصا اهتموا بالأفكار الفطرية، وأقروا بها، وابتعدوا على أي فكرة مكتسبة، ومنه فإن جميع المعارف يكون أساسها العقل الخالص.

لكن فلاسفة المذهب التجريبي اعتمدوا على الحواس والتجربة في الوصول إلى المعرفة عكس المذهب العقلي، حيث اعتبروا أنّ العقل يولد صفحة بيضاء ولا يحتوي على أي فكرة، فمن خلال التجربة والحواس تنقل الأفكار إلى العقل، وهذا ما ذهب إليه جون لوك باعتماده على التجربة والحواس للوصول إلى المعرفة، أن المعرفة المكتسبة غير فطرية فهو ينكر الأفكار الفطرية، كما أنه تعرض لنقد المذهب العقلي خاصة ديكارت في نظرية الأفكار الفطرية، فاعتمد في نقده على ثلاثة حجج وهي: حجة الإجماع، حجة الاستخدام العقلي، الحجة العلمية؛ ومنه نصل إلى أن المذهب التجريبي يرجع أساس المعرفة إلى التجربة والحواس وليس العقل.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.

أولا: قائمة المصادر.

باللغة العربية:

1. جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجون جاك روسو، تر: محمود شوقي الكيّال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية.
2. جون لوك، رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنة، ط1، الإسكندرية، المجلس الأعلى للثقافة، 1997.
3. رينيه ديكارت، العالم أو كتاب النور، تر: إميل خوري، ط1، دار المنتخب العربي، 1999.
4. رينيه ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، تر: كمال الحاج، ط4، بيروت، منشورات عويدات، 1988.
5. رينيه ديكارت، حديث الطريقة، تر: عمر الشارني، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008.
6. رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، تر: عثمان أمين، القاهرة، دار الثقافة، 1993.
7. رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود محمد الخضيري، ط3، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة، 1985.
8. رينيه ديكارت، مقالة الطريقة، تر: جميل صليبا، موفم للنشر،1991.

باللغة الأجنبية:

1. J. Locke, essai philosophique concernant l’entendement humain, paris, tra. M. cost, J. vraim, 1972.

ثانيا: قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية.

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، الإسكندرية، دار الوفاء، 2000.
2. أفلاطون، محاورة فيدون في خلود النفس، تر: عزت قرني، ط3، دار قباء، 2003.
3. أفلاطون، محاورة فيدون في خلود النفس، تر: عزت قرني، ط3،القاهرة، دار قباء، 2001.

4. إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، تر: جورج طرابيشي، ط1، بيروت، دار الطليعة، ج4، 1983.

5. برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، الإسكندرية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1977.

6. جوستاين غاردر، عالم صوفي رواية حول تاريخ الفلسفة، تر: حياة الحويك عطية، دار المنى.

7. جون كوتنفهام، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط1، مركز الانتماء الحضاري، 1997.

8. حربي عباس عطيتو وموزه محمد عبيدة، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، بيروت، دار النهضة العربية، 2003.

9. حسن محمد مكي العاملي، المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات نظرية المعرفة، ط1، بيروت، الدار الإسلامية.

10. راوية عبد المنعم عباس، الحس والتجربة في فلسفة جون لوك، الإسكندرية، دار المعرفة، 2012.

11. راوية عبد المنعم عباس، ديكارت أو الفلسفة العقلية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989.

12. راوية عبد المنعم عباس، مالبرانش والفلسفة الإلهية، بيروت، دار النهضة العربية، 1996.

13. روية عبد المنعم عباس، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، بيروت، دار النهضة العربية، 1996.

14. زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936.

15. عثمان أمين، ديكارت، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1987.

16. عزمي إسلام، جون لوك، مصر، دار المعارف، 1964.

17. فايز فارس، الأخلاق المسيحية، ط1، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ج2، 1992.

18. مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، ط2، بيروت، دار الطليعة، 1986.

19. نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعقل والإيمان، ط1، بيروت، منشورات المكتب الإسلامي، 1961.

20. يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، كلمات عربية للنشر والترجمة.

21. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، القاهرة، دار المعارف.

ثانيا: باللغة الأجنبية.

1. Eric Brauns, Descartes choix de lettres, 1ere édition, philosophie texte soumis à copyright.
2. Tahar benguiza, le rationalisme de la philosophie chezleibniz, série6, université tunis, 2001.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم.

أولا: باللغة العربية.

1. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية، ج2، 1984.
2. زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية المختصرة، بيروت، دار القلم.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ج2، 1982.
4. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيون – المتصوفون)، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006.

ثانيا: باللغة الأجنبية.

1. Français ribe et les autrs, Dictionnaire de philosophie, paris, Armand colin editeur, 1955.

رابعا: المجلات.

1. مجلة الآداب الفراهيدي، أحمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند جون لوك، جامعة كركوك / كلية التمريض، العدد 05، كانون الأول 2010.
2. مجلة دراسات فلسفية، عبد الفتاح سعيدي، دور الكوجيتو الديكارتي في بناء العلم الحديث، العدد 02، مجلة نصف سنوية تصدر عن جمعية جزائرية، جوان 2014.

خامسا: الرسائل الجامعية.

1. محمد جابري عبد الرحمان، نظرية الأفكار الفطرية في المذهب العقلي والنقد التجريبي لها عند جون لوك، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، مكتبة الخنساء، 1983 – 1984.

الملخص:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أهمية الأفكار الفطرية في بناء المعرفة لدى الفلاسفة العقليين، الذين أرجعوها إلى العقل الخالص، بإعتبارها تتميز بالوضوح، والدقة، واليقين. كما اعتبروها المصدر الأساسي للمعرفة أي: أن المعرفة لديهم تعتمد على العقل لا الحواس وهذا ما يتضح عند ديكارت بشكل خاص أن أساس المعرفة هي الأفكار الفطرية، وأنها قبلية، أزلية، أو كما يسميها بالنور الطبيعي، وتتميز بالبداهة واليقين. لدى فالمعرفة التي تعتمد على الأفكار الفطرية هي المعرفة الصحيحة واليقينية، كما أنّه أنكر المعرفة الحسية والمكتسبة عن العالم الخارجي، لأنّها تتميز بالغموض والنقص واعتبر أنّ الحواس مخادعة لا توصلنا إلى اليقين، فهي ظنية ومحل شك.

لكن فلاسفة المذهب التجريبي يقرون بأنّ أساس المعرفة هي الحواس والتجربة، وعلى رأسهم جون لوك الذي يرفض الأفكار الفطرية. ويقر بأنّ العقل يكون صفحة بيضاء عند ولادة الإنسان، والطبيعة تكتب عليه ما تشاء واعتمد في رفضه للأفكار الفطرية على ثلاث حجج تتمثل في: حجة الإجماع، الحجة العلمية، الحجة العقلية.

Abstract:

We study the importance of inmate ideas in building knowledge among philosophers mental, in which they see the mind is the best place where the inmate ideas are found there. They are characterized by clarity, precision and certainty, and they considered these inmate ideas the first source to the knowledge. That means .knowledge is based on the mind on senses and that what Descarts insisted on.

Also, Descarts denied the acquisition of senses in getting knowledge; because they are vague; lack.

On contrary; experimental philosophers and specially ; John Luck who shows that the source of the knowledge is based on senses and experiences ; in addition ;he claimed that the children born blank sheet and acquires the knowledge from outside .

John Luck refers his refusal to the three arguments which are; the unanimous arguments scientific arguments, and mental arguments.